

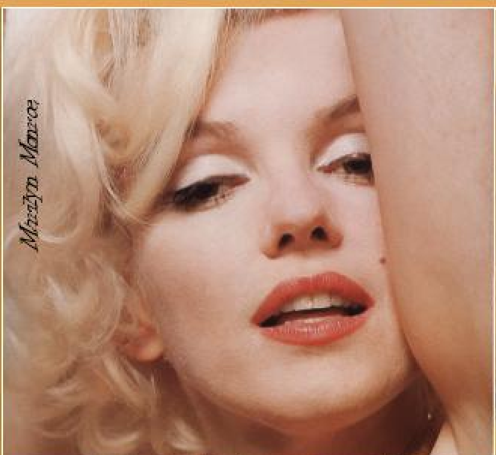
أصدقاء ديونيزوس

العدد 004 – 31 يوليوز 2013

مجلة أدبية وفنية، تصدر عن حلقة "أصدقاء ديونيزوس" الأدبية والفنية بالدار البيضاء، المغرب



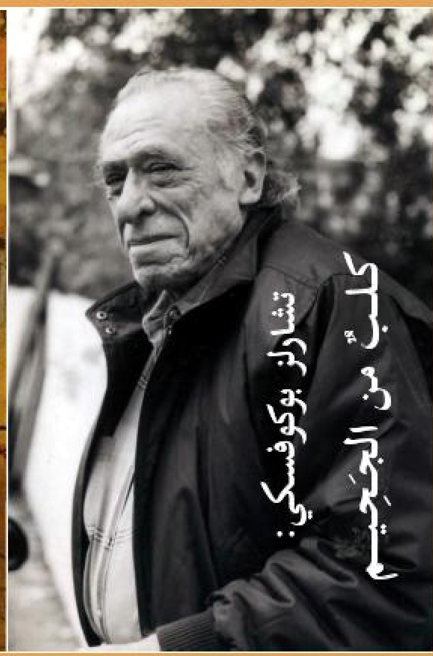
حاناتُ القِصة القَصيرة





سيلفيا بلاث

نسرٌ بخمسة عشر دولارا



تشارلز بوكوفسكي: كلبٌ من الجحِيم



الفوتوغرافي الغائب بيرت سترين

عندما لا يبقى من المُصور سوى العين التي تَرى الجَمال


Edmund
Dulac



أصدقاء ديونيزوس

العدد الرابع، 31 يوليوز 2013

المشرفون على التحرير:
بوجمعة أشفري
محمد عنيبة الحمري
ناصر يودي (مونتريال-كندا)

تُصدرها حلقة "أصدقاء ديونيزوس" الأدبية والفنية
الدار البيضاء، المغرب

المراسلات على البريد الإلكتروني:
amiesdedionysos@gmail.com
anibamohamed@hotmail.com
nacer.youdy@gmail.com

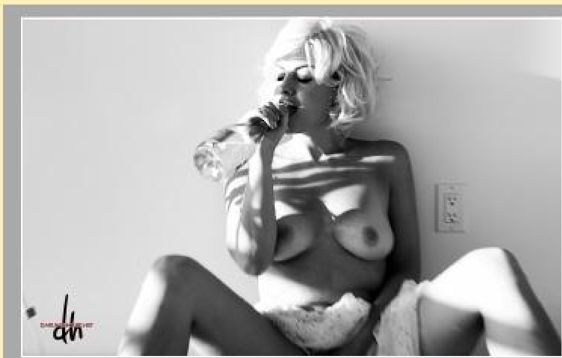
الإخراج والتصميم الفني: بوجمعة أشفري





ملف العدد: حانات القصة القصيرة















الافتتاحية: نخب النصف الأسفل من جسد القصة القصيرة



"في صِحتها" (القصة القصيرة طبعا)، "في صحتنا" (الصديقات والأصدقاء)، "في صحتهن وصحتهم" (الغائبات والغائبون)...

لنرفع ونقرع كؤوسنا ونشرب نخبها ونخبنا (إناثا وذكورا).. كل واحدة تشربُ، كل واحد يشربُ، ما تَشاءُ يَشاءُ من أنواع الكحول المتاحة في هذا الكون الأرضي الذي يجمعنا الآن...

عندما يكون الوقت مناسبا، وحتى عندما لا يكون الوقت مناسبا، أُدخل(ي) إلى أي حانة تصادفك، وستجد(ين) الوضع هكذا:

© نكاية في قصيدة الوزن وقصيدة التفعيلة وقصيدة النثر، استوت القصة على عرش حانة الأرض، وسكبت لترا إلا ربعا من نبيذ "كْروان" في جوفها، ثم عرت نصفها الأعلى تماما ناسيةً أن نصفها الأسفل كان عاريا أصلا. النسيانُ، في حالة القصة القصيرة، وفي معظم الأحيان، داخل الحانات، يُدوْزن الأعلى والأسفل، فيجعل وزن النصفِ الأعلى (من حيث الموسيقى) متناغما مع نثر النصفِ الأسفل.. وفي المرآة ينعكس الأمر: يصير النصفُ الأسفل موزونا ويصير النصفُ الأعلى منثورا...

© لا أعرف لماذا كلما جلست إلى القصة القصيرة (هي تشرب "كْرَوَانْ" وأحيانا "سِيرْوَا" وأنا أشرب "بُونَاصْيَا" وأحيانا "مِيدَايُون") إلا وتقيأت أمامي عبارة تشارلز بوكوفسكي:"هي ذي المشكلة مع الخمرة، فكرت وأنا أصب كأسا في جوفي: إذا حدث شيء سيء، نشربُ كي ننساه.. إذا حدث شيء مفرح، نشربُ لنحتفل به.. وإذا لم يحدث أي شيء، نشربُ كي يحدث شيء ما...".

ملف هذا العدد، "حانات القصة القصيرة"، كان لقاء ديونيزوسيا نظم ضمن لقاءات آخر كل شهر من طرف حلقة أصدقاء "ديونيزوس" الأدبية والفنية، بمطعم-حانة "بوتي بوسي" بالدار البيضاء.. وقد أشرف على إعداد هذه الأمسية القاص المغربي أنيس الرافعي، وشارك فيها المبدعون: أحمد بوزفور، إدريس الخوري، مصطفى جباري، أنيس الرافعي، مبارك حسني. وارتأت هيأة تحرير المجلة أن تضيف مقالات ونصوصا لمبدعين مغاربة وعرب لم يحضروا للأمسية الديونيزوسية، وهم: الشاعر والمترجم المصري محمد عيد إبراهيم بقصة مترجمة للعربية للكاتبة الأمريكية سيلفيا بلاث، ومقال للشاعر والمترجم اللبناني إسكندر حبش عن الكاتب الأمريكي الملعون تشارلز بوكوفسكي، وقصة قصيرة للكاتب المغربي عبد اللطيف الإدريسي المقيم بفرنسا. وتكلف الشاعر المغربي محمد عنيبة الحمري (عضو هيأة تحرير المجلة) بإعداد مقال طويل عن الحانات في الأدب العربي الإسلامي...





حانات القصة القصيرة





القصة حانة



أحمد بوزفور (*)

الحانة جزء أساسي من حياة كثير من الناس في كل زمان ومكان. ولأن الحياة الإنسانية والاجتماعية هي محبرة القصة ، فمن الطبيعي أن تَحْفِلَ قصص كثيرة بالحانات وتحتفل بها ، وتعكس الحياة فيها وقائع وحوارات وتأملات واستحضارات.

ويمكن رصد تيارين قصصيين كبيرين في هذا الموضوع:

© **التيار الأول:** تيار واقعي يوهم القارئ بأنه يتحدث عن واقع موجود بالفعل خارج النص ، لأنه يعتمد في وصف الفضاء الحانيّ على تفاصيل وأسماء أمكنة وأشخاص وتواريخ ودقائق تَحْفِل بالحياة فتبدو كأنها تحاكيها ، وتردها إلى أسباب وعلل واقعية ، وفي إطار منطق مبرَّر ومعقول وقصدي.

في هذا التيار ، يسري الحرف ، كما يقول النِّفري ، حيث القصدُ: "جيمٌ جنةٌ. جيمٌ جحيمٌ".

ويمكن أن تُدرج في هذا التيار أغلب حانات القصة المغربية الحديثة.

© **التيار الثاني:** تيار غير واقعي ، وهو تيار كبير يضم:

_ ما هو تحت الواقعي ، حين تحس أن تحت الوقائع والشخصيات والأمكنة البسيطة معنى رمزيا عميقا ، تستشعره وأنت تقرأ ، وتحاولُ تأويله بمرجعياتك الثقافية عن القصة والكاتب ، وعن الأدب عموما.

وربما أمكن أن تُدرجَ في هذا الإطار بعض قصص همنغواي ، مثل "مكان نظيف حسن الإضاءة" ، أو بعض قصص نجيب محفوظ مثل "خمارة القط الأسود".

_ ويضم هذا التيار ، أيضا ، ما هو فوق الواقعي ، حين تشعر في الحانة القصصية بأجواء فانتاستيكية غريبة ، فيها روائح وأنفاس من إدجار آلان بو ، أو فرانز كافكا ، أو خورخي لويس بورخيس.

في هذا التيار تقود القصة الكاتب ولا يقودها. يقصد الكاتب الشرق فتتجه القصة إلى الغرب.. يخرج من المسجد فينتهي في الحانة.. والحرف يسري حيث الرغبة لا حيث القصد.

لكن القصة نَفسَها ، أيُّ قصة ، وكل قصة ، هي حانة مفتوحة على الطريق ، يشرب فيها العابرون. منذ كانت حكايةً أو خبراً أو طُرفةً أو مُلحةً أو نادرة.

... وحتى حين أصبحت قصة لم تخلُ من الشاربين العابرين. كل شارب يجلس وحده ، ويشرب وحده ، ويتكلم ، إذا تكلم ، مع الحانة نفسها لا مع الشاربين.

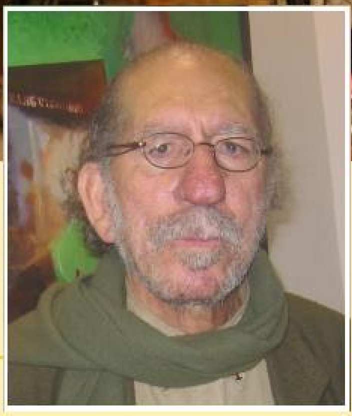
لكن الحانة أصبحت مهجورة الآن. والبارمان وحده في الحانة يشرب ويغني. لا أحد يقرأ القصة الآن غير الكاتب نفسه إذا قرأ:

يجذب الزِّقَّ إليه ويتكي ، ويسقي نفسه أربعاً في أربعٍ. ثم يقف على أطلال القصة ويغني بشعرِ أبي نواس:

ودارِ ندامى عطَّلوها وأدلجوا
بها أثرٌ منهم جديدٌ ودارسُ
مساحِبُ من جرِّ الزِّقاقِ على الثرى
وأضغاثُ ريحانٍ جنيٍّ ويابسُ...

(*) قاص مغربي





القصّة القصيرة في الحانة؟

إدريس الخوري (*)



1

لِيُقلْ عنا ما يقال: ملاحدة، علمانيّون، بوهيميّون، لا مبالون بـ "القضايا الكبرى" للوطن، عدميّون. صافي؟ كلّ هذه النعوت السيئة تُلصق بنا لأننا من سلالة مختلفة عن شلالتهم المحافظة على "القيم" التقليديّة الجاهزة. فهلْ رأيتَ ذلك الشيخ-الإمام الذي كان يغتصب شابّة يوميًا في أحد أركان المسجد؟ وذلك "الإسلامي" الذي كان يعاشر "إسلامية" متزوّجة من "إسلاميّ" صديقه؟ يحدث هذا في «مغرب الإسلاميّين"، أما نحنُ، فلا "رفاهية" لنا إلا الحياة اليومية بكلّ بؤسها وشرورها ومُتَعها الحسّية المليئة بالمفارقات السّوريالية.

أنتَ، أيها الكاتب المفترض، قصّة قصيرة قابلة للضرب والقسْمة والطّرح والتأويل والصّرف مثل النحو. مُدمنة بدورها كجسد متحرّك على الأماكن العامة، السرّية والعلنية، الجيدة والرديئة. فإلى أين تذهب اليوم صباحا وزوالا ومساء؟ عليك بمكانك المفضل الذي "تأوي" إليه كلما ضاق بك وقتك الفائض.. وقتُ البيْت والزوجة الثرثارة.. وقت العلاقات الزائدة عن المعنى. ذلك لأنّ لهذا المكان-الحانة طقسا سحريًا خاصا لا تضاهيه شقة فاخرة، أو فيلا لا كتاب فيها ولا وردة.

في الحانة، يتكرّر نفسُ المشهد اليوميّ، نفسُ الوجوه، نفس الوجوه الجملية (إنسانيا)، والرديئة والمدّعية والعدوانية والمُحتالة. إنه الإغواء الشيطانيّ السرّي القابع خلف رغبتك الدفينة في الارْتماء بين أحضان "كوخي الحقير"، أو عند السّيدة غيرانْ الفرنسية، أو "الصحافة" بحيّ المعاريف، أو "لامارنْ" بالرّباط، إذ أنّ كلّ الطرق تؤدي إلى المكان المألوف.

2 ـــ

- إلى أين أنت ذاهب أيها القصة القصيرة ؟
- إلى مأواي المفضل.
- قل إلى "الكابيتول".
- لا ، إلى "الرونيسانس".
- لقد ماتت مدام بوليت.
- هي وأخواتها الحمقاوات.
- لقد تغيّرت المدينة.
- ببني هلال وبني شليئم ؟

في الحانة التي تتردّد عليها القصة القصيرة ، صباحا ومساء ، ثمة وجوه جديدة ثؤثث فضاءها الملوث بالدخان والموسيقى الرديئة ، والداعرات الجائعات اللواتي لا يشبعن من البيرة ومن طلب السجائر. القصة هنا والآن ، غدا وبعد غد ، شهرا بعد شهر ، سنة بعد سنة. ورغم أننا نوزّع الأمكنة ، هنا وهناك ، إلا أننا ندور مثل الخذْروف لننتهي ، في نهاية المطاف ، إلى نفس المكان. ذلك أنّ من افتقد صديقه الحميم سيذهب إلى حانته المفضلة ليقرقب معه الناب ، وينتقد الأفلام السينمائية والكتابات الصحفية لزملائه ، الأحزاب والنقابات ، الجمعيات الثقافية المتناسلة.

- يالله ، غدًا نتلقاوْ.
- تمّاكْ.
- القصة القصيرة في الحانة: لنسألْ محمد زفزاف. هنا فضاء "ماجستيك" و"الكون" عند الزيادي ، أحمد بوزفور في "ميرْ سلطان" ، أحمد المديني أيضا ، عبدو ربّه الضعيف في "لابريس" ، يوسف فاضل.



وبغضّ النظر عن البعد اللّاأخلاقيّ ، الذي يريد البعض أنْ يُلبسه فوق أكتافنا ، إلا أنّ وجود الحانة ، في المتن القصصي المغربيّ ، عند كل من زفزاف وشكري وغيرهما ، له دلالته الرمزيّة: كوْن أن هؤلاء الكتّاب من أبناء المدينة.. كوْن الحانة فضاء ذاتيا بامتياز..

3 ـــ

يمتطي الكاتب المفترض درّاجته الهوائية انطلاقا من "الرونيسانس" أو "لاكوميدي" نحو المعاريف. هنا في غرفته الصغيرة ، تستحضر القصة القصيرة شخوصَ الحانة ، رجالا ونساء ، عُشاقا محبطين ومنفصمين ، موظفين مسْحوقين. وفي "الرونيسانسْ" ، قالت راشيل اليهودية المتصابية ، ذات المساحيق الرّديئة ، وهي تهمّ بالدخول إلى الحانة:

- أمّيمتي تاحْ لي التّالونْ ؟

عندها ضحك المرحوم البشير جمكار ، وكان رفيقا لسلالتنا ، وطلب لنفسه قصّة قصيرة ؟

كانت راشيلْ قد توجهت مباشرة إلى المسيو جورج ، وهو زوج مدام بوليت ، وقبّلته في فمه حتى أننا ضحكنا وطلبنا ، أنا وأحمد الجوماري ، كاسَ قصّة قصيرة.

ليس للكاتب المفترض ، مثلي ومثلك ، من مكان مفضّل غير الحانة. فيها يأكل ويشرب ، وينام أحيانا ، مثل محمد أمسكان. وعندما تذهب السّكرة ، تحضر الفكرة. إنّ الملف الذي أنجزه أمسكان عن حانات الدار البيضاء ، في تلك المجلة الفرنسية البيضاوية (V.H) ، سنوات الخمسينيات والستينيات ، لهو إنجاز صحفيّ وثقافي جد هامّ. في تلك الحقبة التاريخية الذهبية ، كانت «كازا» عبارة عن مقاطعة من مقاطعات «باريس»: مقاهٍ ، مطاعم ، حانات ، مكتبات ،



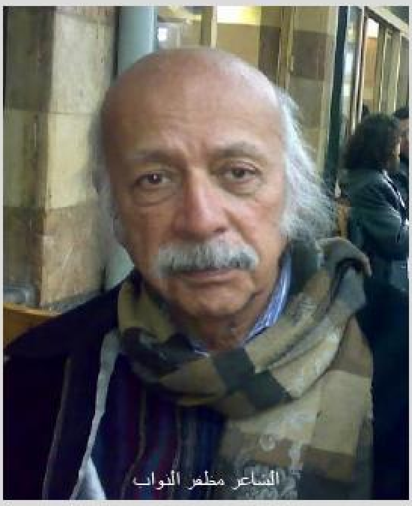


عمارات جميلة على النمط الكولونيالي. وقد بدأت ملامحها تتَسخ بفعل الإهمال والبَدْونة.
أرأيتَ ذلك الكائن الذي يتحدث لوحده ؟
- إنه "بيرصوناجْ" صالح لقصة قصيرة ؟
- عندما يحين أجله.
وبغضّ النظر عن البعد الّلاأخلاقيّ ، الذي يريد البعض أنْ يُلبسه فوق أكتافنا ، إلا أنّ وجود الحانة ، في المتن القصصي المغربيّ ، عند كل من زفزاف وشكري وغيرهما ، له دلالته الرمزيّة: كوْن أن هؤلاء الكتّاب من أبناء المدينة.. كوْن الحانة فضاء ذاتيا بامتياز.. كوْن المدينة توفّر متعها الحسية لفئات عريضة من المجتمع ، ومنها الكتّاب والمثقفون.. وكوْن الحانة مجرّد محطة استراحة لا غير. فهل يخدم هذا المقال "القضايا الكبرى" للوطن ؟
الوطن نفسه رواية مطوّلة بحاجة إلى كاتب ملحميّ.

(*) كاتب وقاص مغربي

"في الحانة القديمة" للشاعر العراقي مظفر النواب

المشرب ليس بعيداً.. ما جدوى ذلك
أنت كما الإسفنجة تمتص الحانات
ولا تسكر
يحزنك المتبقي من عمر الليل بكاسات الثملين
لماذا تتركوها ؟
هل كانوا عشاقاً ؟
هل كانوا لوطيين بمحض إرادتهم كلطاءات القمة ؟
هل كانت بغي ليس لها أحد
في هذي الدنيا الرثة ؟
وهمست بدفء في رئتيها الباردتين..
أيقتلك البرد ؟
أنا يقتلني نصف الدفء.. ونصف الموقف أكثر
سيدتي.. نحن بغايا مصرك
يزني القهر بنا.. والدين الكاذب.. والفكر الكاذب..
والخبز الكاذب..
والأشعار.. ولون الدم يزور حتى في التأبين رماديا
ويوافق كل الشعب.. أو الشعب
وليس الحاكم أعور
سيدتي.. كيف يكون الإنسان شريفاً
وجهاز الأمن يمد يديه بكل مكان
والقادم أخطر


الشاعر مظفر النواب

نوضع في العصارة كي يخرج منا النفط
نخبك.. نخبك سيدتي
لم يتلوث منك سوى اللحم الفاني
فالبعض يبيع اليابس والأخضر
ويدافع عن كل قضايا الكون
ويهرب من وجه قضيته
سأبول عليه وأسكر.. ثم أبول عليه وأسكر
ثم تبولين عليه ونسكر
المشرب غص بجيل لا تعرفه.. بلد لا تعرفه
لغة.. ثرثرة.. وأمور لا تعرفها
إلا الخمرة بعد الكأس الأولى تهتم بأمرك
تدفئ ساقيك الباردتين
ولا تعرف أين تعرفت عليها منذ زمان

يهذي رأس بين يديك
شيء يوجع مثل طنين الصمت
يشاركك الصمت كذلك
بالهذيان.. فتحدق
في كل قناني العمر لقد فرغت
والنادل أطفأ ضوء الحانة مرات
لتغادر
كم أنت تحب الخمرة.. واللغة العربية.. والدنيا
لتوازن بين العشق وبين الرمان
هذي الكأس واترك حانتيك المسحورة
يا نادل لا تغضب فالعاشق نشوان
واملأها حتى تتفايض فوق الخشب البني
فما أدراك لماذا هذي اللوحة للخمر..
وتلك لصنع النعش.. وأخرى للإعلان..
عفواً يا مولاي فما أخرج من حانتك الكبرى
إلا منطفئا سكران
أصغر شيء يسكرني فكيف الإنسان
سبحانك كل الأشياء رضيت سوى الذل
وأن يوضع قلبي في قفص في بيت السلطان
وقنعت يكون نصيبي في الدنيا.. كنصيب الطير
لكن سبحانك حتى الطير لها أوطان.. وتعود إليها
وأنا ما زلت أطير.. فهذا الوطن الممتد من البحر إلى البحر
سجون متلاصقة
سجان يمسك سجان....





حالات من حانات القصة

مصطفى جباري (*)

بما أن موضوع هذه اللمة هو حانات القصة اسمحوا لي أن أقرأ عليكم قصة قصيرة وصغيرة... للكاتب الإسباني خسوس ألونصو. عنوان القصة: "هناك دائما عذر للخروج للشرب".

تقول القصة: "اشتريت "كونتوار" حانة لأني كنت أريد أن أكف عن الشرب خارج البيت. ما أن هيأته حتى وقفت جانبا وطلبت جعة. انتقلت إلى الجانب الآخر وسألت: "جعة بكحول أم بدونه"؟. غيرت مرة أخرى مكاني وأجبت:" بكحول يا غبي". " الغبي هو أنت" ، أجبت نفسي. "لا أحد يعاملني أنا هكذا. أنا ذاهب إلى حانة أخرى". صفقت الباب ورائي وخرجت. وبقي الآخر هناك مع مشروعه البائس."

_ يخرج إنسان القصة من الداخل إلى الخارج ويترك آخره والآخرين في الداخل مع مشاريعهم البائسة ... لكن إذا كان هذا الخارج "اصكع" فإنه في البار سيجد آخره والآخرين هناك في انتظاره ، وبالطبع كثيرا ما يحدث هذا.

_ ما أبعد حانة القصة المغربية عن ال "مكان النظيف حسن الإضاءة" إرنست همنغواي ، تلك التي تشبه قصة صاحبها: لها الجزء الظاهر من جبل الجليد ولها الجزء الباطن أي كتلة الجبل وقاعدته... أين توجد النظافة والإضاءة ؟ الشخصيات عموما ليست نظيفة ولا مضيئة... في السطح هدوء وفي العمق صخب ووسخ وغموض وريبة... أما حانة القصة المغربية فعلى عكس ذلك تماما: سطحها صخب وحرارة ونميمة ، هم وغم ، عاهرات وبوليس ، أنس عابر وغربة مقيمة وعمقها أدهى وأمر...

_ الحانة في القصة فضاء لتقشير الإنسان المستهلِك المستهلَك...فضاء لاقتناص عينات من بنادم ... يمارس عليها الكاتب استيهامات الكتابة... ويبني بها معادلات للواقع... فضاء مصغر للواقع ، الحانة الكبرى...

الحانة فضاء القاع... ، المصائر الملتبسة ، العطش الساخن إلى الحياة ، تبادل الأهواء ، تفاتح الألسنة ، الانتظار الآهل بالحضور ، هدهدة الأوهام لتنام ، ترميم خيط الروح بالروح...

ولأنها واقعية جدا تظهر فيها الفروق بين الفقر والغنى بين بنادم المهم والتافه بين الناجين والغرقى. وإذا كان عين الكاتب غي في الكتبة تصير





الحانة فضاء تسام أو إشراق أو كشف وكما هو معلوم هذا نادر جدا لحسن الحظ أو لسوئه...

ــ الفقاعات ، لاشيء غير الفقاعات تنفجر الواحدة تلو الأخرى هذا ما يجده زفزاف في الحانة. ومع ذلك يكون مهما ما نراه من الحانة خارج الحانة... الحانة مرقب مرصد يلون الخارج بتلويناته ويحفر في الأشياء في الخارج التباس الداخل وتذبذبه... ابتسامات البارميتة الصفراء ، تجرُّع هدرزات بعض الفنانين أو الفنيانين...

ــ عن زفزاف عن بن مسعود رأسا أن شارب الخمر إذا نبش قبره وُجِد مصروفا عن القبلة. طوفان البدو على الدار البيضاء وجشع البوليس ومكر البنات. الغثيان والرغبة في القيء. بن مسعود كان يعرف كل هذا... كانت تنقصه فقط "ليلة في الدار البيضاء" ليعرف ما عرفه ابًا ادريس...

البار فضاء لشيء اسمه الكاتب: بنات الأحياء الهامشية... بما فيهم بنت الفقيه التدلاوي الذي سيذهب للحج هذه السنة... قنينات التيكيت نوار ، شيوخ الصحراء النفطية ، المغني المتصابي الذي يريد أن يضوي البلاد وحده ويأخذ 6000 درهم (ديال ذيك الوقت) كل ليلة أما أنت أيها الكاتب الحازق فيلزمك وقت أطول لتجمع ثمن مجموعة قصصية ثم انتظر. ماذا ؟ حتى تمحو صورتك على الغلاف الشمس النازلة كالسخط على الأكشاك... "إن هذا المكان ليس لي أنا. أنا فيه لكني خارج عنه وحتى إذا وصفته سيظل بعيدا عن عيني الكليلتين".

أما حانة الكاتب الحازق فهو بار أمثاله من المنبوذين حيث يمكن رغم كل شيء أن ينصت لعظامه ويلعب الفليبير. يخسر الكاتب دائما. الخسارة برا والداخل... هنا ولهيه... باركا عليه إذا ربح نفسه... واستمتع بتلك الجملة الرائعة: "الإنسان غريب بالرغم عنه".

ووسط هذا الفضاء الأليف الأنيس تبقى شوكة الكاتب حارة ويا ويله اللي خرج فيه البلان... حتى الحيوط لن تسلم من لسانه المناضل الخطير: "هذه الرسوم الكثيرة الفلكلورية إنما وضعت للعجم ليضحكوا علينا. نحن شعب كارتبوسطال... ثم من قال إن هذه ليست على كل حال "كافي إيطاليان"...

والحانة "حفرة": "هي النقطة المستديرة التي تلتقي عندها كل الطرق المؤدية إلى المتعة والتيه والنسيان والتناسي ، هي النهار الهادئ والليل الهادر. عين السارد لا ترحم ، ولا تفهم حالة شرب بلا كلام "كانت الكأس هي الكلام المباح فيما بينهم". العجب هذا...وأعجب من العجب هؤلاء النقاد نقاد العين ونقاد الوذن الذين يتحدثون عن قصص وروايات دون أن يقرأوها...

ــ بار حمجيق للأمين الخمليشي: "إذا كان ولابد من زيادة كأس فليكن في بار مولاي. ليس مولاي جعفر ، بل مولاي الآخر ، نسيب بــــرادة ،







برادة؟ ما عرفتيش برادة؟ إيوا سير تحسّن..". طبعا الروج أحسن... أين هذا من تلك التي تجعلك غادي جاي إلى المراحيض كسطل مثقوب... وإذا عنّ لك أن تدخل سوق راسك فإن هناك دائما من يقف عليك ويقول لك: "باين عليك ولد الناس وشارب غير وحدك وما كيشرب وحدو غير الشيطان..." وتبدأ المشاكل بالطبع... لأن المشاكل تبدأ دائما عندما ينسحب الشيطان.

_ أما البار المفضل عند أحمد بوزفور فهو بار السندباد حيث التقى أول مرة هذا الأخير ليؤسطر أحدهما الآخر ويقع ما وقع. دابا عرفت الدقة منين جاتني... السندباد يكتب في البار على ورقة كلينكس كأس بسطر... والأصح حرف بكأس. احسبوا إذن الحروف وانظروا في هذه البئر كم قرقرت...

الحانة فضاء لممكنات السرد ... لاختبار وتجريب غريزة الحكي ، لترسيخها في ثقافة الكاتب الجمالية ومرجعياته الثقافية... لتقوية الإحالات المتبادلة بين الحكي وبين حلم اليقظة ، وبو غطاط... لتشييء السرد وجعله يندلق على لسان نادل: سندباد آخر ممسوخ... ويمكن أن يعطيك في النهاية درهما لتشتري جريدة تقتل نفسك فيها وأنت خارج... ولتكعيب القصة بأصوات البرد ، وأصوات اللذة وأصوات الصمت ، وأصوات الكتبة ، إلى أن يطلع لك الصوت في الرأس... وتتجرع الغرابة التي يصنعها الفن لاختراق جدار الذات الصلب ، وقد صارت (أي الذات) مستعصية على الرؤية متأبية عن التمثل والمثول...

والحانات تأتي...

(*) قاص وجامعي مغربي

الشاعر محمود درويش: في مديح النبيذ





أتأمّل النبيذ في الكأس قبل أن أتذوقه..

أتركهُ يتنفَّس الهواء الذي حُرِم منه سنين. اخْتَنَقَ ليحمي الخصائص. وتخمَّر في شبابه ، وادَّخَر الصيفَ لي وذاكرةَ العنب..

أتركُهُ ينتقي لونه المُسَمَّى ، خطأً ، أحمر. فهو مزيج من قُرْمُزيّ تشرَّب غيمة خفيفة السواد. لون لا لون له إلا اسمه: نبيذيّ ، لنرتاح من مراوغة الوصف.

وأتركُهُ يحترم رائحته ، الرائحةَ المتكبرة المتعالية كالمُحْصَنَات من النساء. إن شئتَ أن تَشمَّها فلا تأتي هي إليك. عليك أنت أن تتأكَّد من طهارة يدك وخلوّها من العطر ، ثم تمدَّها بلينٍ عاطفيّ إلى الكأس كأنها تقترب من نَهْد. تقرِّبُ الكأس من أنفك بأناة نحلة ، فتبعثرك رائحةٌ عميقة سريّة: رائحةُ اللون التي تُدْخِلُكَ إلى أَدْيِرَةٍ قديمة ..

وأتركه يستجمع خواطر مذاقه إلى أن نكون ، أنا وهو ، جاهِزَيْن عطشاً لاستقبالِ وَحْيٍ بالفم. لا أتعجَّل ولا أتمهل ، فكلاهما كسر في إيقاع المتعة. أُقرِّبُ الكأس من شفتيّ بخفر المتسوّل قبلةً أولى من امرأةٍ غامضة العواطف. أرتشف جرعة خفيفة. وأنظر إلى أعلى بعينين نصف مغمضتين إلى أن يسري شلافُ نشوةٍ في شراييني. وتنفتح شهيّتي على ما يليق بالنبيذ من حاشِيةٍ ملكية. هو النبيذ يرفعني إلى مرتبة أعلى ، لا هي سماوية ، ولا هي أرضية. ويقنعني بأنَّ في وسعي أن أكون شاعراً ، ولو لمرة واحدة!

قصص تجلوها المرايا





مبارك حسني (*)

1) قصتي أكتبها ، وحانتي أعيشها مساء في الغالب ، أو أحيا في فضاءاتها. هذا هو المشهد العام ، الغالب ، المفروض واقعا. فعل عشق هنا ، وفعل لذة هناك. تنثال النصوص تباعا ويستديم الفرح كل ليلة ولو امتنع النص ، ولو حزنت الروح. الألم واللذة يلتقيان هنا وقد يفترقان ، أو يتواتران حضورا وأثرا.

2) نعم ، لكن قد يحدث أن أعيش قصتي وأكتب حانتي. ليس الأمر انقلابا تعبيريا شكليا. بل هو قدر عميق ومصير قد يطفر من حيث لا أدري. فالحانة ليست فضاء للمهادنة والتواضع والسكون والدعة والصمت الكسول. هي انقلاب متدرج للمعايير ، فنحن لا نشرب ماء ولا لبنا ، لا شفافية تافهة الوضوح و لا بياض النقاء الكاذب هنا. وبالتالي فعندما يحصل الاندماج زالصفاء والوشوشات الخفية والاحتفاء بالذات والروح معا ، حينها تعدي الحانة القصة ، فتصير هذه معادلا طبيعيا ، غير مهادن ، غير صامت ، غير وديع ، غير متواضع. القصة تقترب من النسغ الحقيقي للحياة وقد فتحت أبوابها السرية وخباياها الخفية ، وقد شرعت/ شرَعت سؤال الوجود والكينونة ، سؤال الانسان الباحث عن القصة الحقيقية للأمور..

كتب ، تصوروا ، أول نص قصصي نشرته ، سنة 1985 واسمه "مساء السبت" ، كان بطله شابا يتقمص جلد أنطوان روكنتان ، بطل رواية "الغثيان" الشهيرة لجان بول سارتر. في هذه القصة يغادر غرفة الحي الجامعي مجموعة من الطلاب للسهر نهاية الأسبوع تاركين صاحبنا يطل من البلكون بعد أن رفض مرافقتهم. وبرفضه هذا كان يرفـــض الزيف والعبث الحياتي ، وكي يتواصل مع الإحساس الأليم يقطن منطقة تفكيره الحاد ويحتل عقله المتوتر بالأسئلة الوجودية ، في أفق التواصل مع الجدية المفقودة ، وبانتظار المتعة الأخرى غير المزيفة ، يشرب حمولة قنينة نبيذ أحمر من نوع "الميكا" أو "الفراكة". حين ينتهي من بلع آخر جرعة ، يقف أمام مرآة مغسل الغرفة ولما يطلع له وجهه مرتسما يندلق الأحمر عليها كاملا.

3) قصصنا/ قصصي بدأت من هنا ، من سؤال الكينونة الذي يغذيه رحيق آلهة الأولمب جنب الكونطوار ، في الزوايا حيث يحنو ويسود ديونيزوس.. هي قصص تندلق على المرايا لإعادة الأمور إلى نصابها الحقيقي... وهكذا وصل العدد إلى 100 قصة قصيرة أو أكثر قليلا وهي مرشحة للتزايد. قصص تتراوح طولا ما بين ربع صفحة وأربع صفحات ، وهي منثورة في أربعة كتب وملاحق ثقافية ومجلات ومواقع سرد متخصصة ، مغربية وعربية وفرنسية وكندية. وجلها بدأت تصورا وكتابة وتصحيحا على طاولة في فضاء معتم/ مضيء ، أمام الرحيق إياه. وأغلبها حكايات تلتقي بحكاية البطل الوجودي في القصة القصيرة الأولى المؤسسة ، حكايات الآخرين الذين يرتادون الفضاء ، يتكلمون ، يحكون ، بالطلاقة المعهودة في الحان. هذا الحان المعين الذي لا ينضب من القصص التي تنتظر الأذن اللاقطة..

لا ، ليس عبثا أن تكون للحانات مرايا في كل جهة من الجهات الأربع.. قصص الآخرين التي تندلق بدورها على هذه المرايا...

(*) قاص وناقد سينمائي



عين وراء الحانة

إلى بوجمعة أشفري



أنيس الرافعي (*)

حانات نعبرها: ألكازار - الطابق الأول

هو الذي أشاع ، في الآونة الأخيرة ، عن نفسه المنذورة للنعومة واللحم ، أنه جمع و طوى مع سيرة الفجور ، وتاب توبة نصوحا عن حرفة اصطياد أولئك اللواتي أدرجهن - لسنوات- ضمن قائمته المفضلة من البدائل الاصطناعية الجيدة للحب: نساء الليل.

هو نفسه من أصبح ، كلّ مساء وبمجرد حطه لرحال الصحو داخل حانته المألوفة ، يلوذ رفقة أسرع قنينة وقعت في أسره إلى أقصى الركن الأيمن للكونطوار.

إلى أقصى الركن الأيمن للكونطوار ، أعيد و أعض عليها بالتكرار. ليس ، بالضرورة ، حماية للأمن الاستراتيجي للجسد أو حتى حفظا للحقوق الدستورية الهادئة في السكر. وإنما ، أساسا ، كي ينشب مخلب عينيه وعتاد حواسه - المدربين على التنفيذ المحكم للاغتيالات العاطفية - في النقطة الحمراء الصغيرة ، التي تفند السواد المهيمن للحبر الصيني ، وتعلو بياض وعري وابتسامة تلك الفاتنة النحيفة التي أصابته من داخل اللوحة الجدارية بغمزة واحدة في القلب.

النقطة الحمراء ذاتها ، التي كانت تتفاقم شيئًا فشيئًا في خيالات جمجمته كلّما حالفه السكر المبدئي ، وبدأ في توسيع قطرها.

النقطة الحمراء الحمراء ، التي كانت تسفر عن سرطان بحر بلون بركة دم كلّما كتب له السكر الراجح ، وثابر على أشغاله التوسيعية في إحداثياتها.

النقطة ، التي كانت تمسي سوداء تماما لحظات قليلة قبل أن يغادر الحالة وهو على سكر عظيم.. لأن سرطان البحر ، هذا الصياد الماهر الذي قلما يتعثر في فريسته ، كان قد سحب معه بياض وعري وابتسامة تلك الفاتنة النحيفة إلى داخل خلفية اللوحة الجدارية!

حانات تعبرنا: الشارلستون - الطابق السفلي

عند مطلع الكأس السابعة وبدعوى لمسة سكر بادية ، ســـــوف تهب من الجهة الخاطئة للحرص حركة مباغتة لأصابعه: ينقلب الويسكي. تبعه الماء. تلتهما مكعبات الثلج. أهرقو - في واقع الوصف - بغير ذات التتابع ، ولا ذات التتالي المزعومين على سطح الكونطوار مثل الضوضاء غير المنهجية التي كانت تصول لا وازع لها ، وتجول لا راد لها في عظام الملهى.

غير أن هذا الانقلاب ، سرعان ما أوجد - بشكل إعجازي - على شرف الكونطوار جزرا وجداول و أنهارا وبحيرات متفرقة وغير محمودة العدد ، جعلت - أو بالأحرى هيأت له- أن ما يبصره أمام ناظريه ، هو عالم بأكمله في طور التحول إلى جغرافية شائهة ليابسة وهمية يسبح على أطرافها الغمر.

أصبعه.. أصبعه الأوسط الذي كان ينطوي جيئة وذهابا ، ذهابا وجيئة ، على كل الأسباب الوجيهة للتحسر على كل هذا الهدر البرمائي ، انتقل - من فرط الحسرة لا غير - إلى مرحلة تقصي ومراجعة الأشكال الهندسية: الشكل الدائري للجزر أقصاه ليغدو مربعا. المربع صاغ منه نهرين. النهران ربطهما بسلسلة جداول. الجداول انفصلت تدريجيا عن بعضها لتنتشر صوب البحيرات. البحيرات فاضت بحيرة في كل حدب وصوب بحيرة أخرى وأخرى وأخرى لتحمل الدمار إلى باقي الجزر والأنهار والجداول.. فتشكل بحر... بحر حقيقي تتناهبه أمواج عاتية من الويسكي من الماء من مكعبات الثلج على سطح كونطوار يتحرك فوقه أصبع.. أصبعه الأوسط... البحر ذاته ، الذي ألقى فيه طوفا بمجدافين ، وركب لا يلوي على صحو... هو ، الآن وككل ليلة توارت أمام/ خلف الليلة التالية/ السابقة ، يبحر وحيدا وبلا توقف مثل عوليس مع الصدى الخافت والظلال المتصرمة لجزره وأنهاره وجداوله وبحيراته ، التي يمكن أن تصير في كلّ مرة بحرا!

(*) كاتب وقاص مغربي

...وعجت أسأل عن خمارة البلد



محمد عنيبة الحمري (*)

في فضاء الحانات :

يبدو أن المشترك بين الحانات جميعها ، ومجالس الشراب عامة ، مربع مشكل من: الخمرة والنديم والساقي ثم الطرب والغناء ، كفضاء يعيشه مرتادو الحانات ، بحسب اختلافاتها ، عامة أو خاصة ، أو مجالس للخلفاء أو ديارات (أديرة) .

فمنذ العصر الجاهلي وذكر الخمرة ووصف مجالسها وارد في الشعر العربي ، يقول طرفة واصفا مجلس شراب:

نداماي بيض كالنجوم وقينـــة .... تروح علينا بين برد ومسجد
إذا نحن قلنا اسمعينا انبرت لنـا .... على رسلها مطروقة لم تشدد
إذا عرجت في صوتها خلت صوتها ...... تجاوب آظار على ربـــع ردي
وما زال تشرابي الخمور ولذتـي .... وإنفاقي طريفي ومتلدي

ويصف أعشى قيس مجلس شراب ، والمغني الذي يثني كفه على الوتر ، والندامى المترفين كمصابيح الدجى ، بينهم الذي تلاشى ، وفيهم الذي يبدو كسيحا وما هو بكسيح لأن قدمه لا تعينه على القيام من شدة السكر يقول:

ومغن كلما قيل لـــــه: .... أسمع الشرب تغنى وصــــدح
وثنى الكف على ذي عتـب .... يصل الصوت بذي زير أبـــح
في شباب كمصابيح الدجى .... ظاهر النعمة فيهم والفـــرح
رجح الأحلام في مجلسهـم .... كلما كلب من الناس نبـــح
فترى الشرب نشاوى كلهـم .... مثلما مدت نصاحات الربــح
بين مغلوب ثليل حــــــده .... وخذول الرجل من غير كسح

ومن العصر الجاهلي فالعصر الإسلامي فالعصور العباسية ، توسعت الحانات وانتشرت وشقت طريقها في السر والعلن ، وعززت وجودها بكل الفئات والطبقات ، وبشكل خاص الشعراء والأدباء وأهل الرأي والمعرفة والأعيان والقواد وغالبية الخلفاء ، قال ابن المعتز:

أين التورع من قلب يـهيم إلـــى .... حانات لهو غدا بالعود والناء
وصوت فتانة التغريد ناظـرة .... بعين ظبي تريد النوم حوراء
جرت ذيول الثياب البيض حين مشت ... كالشمس مسبلة أذيال لألاء
وقرع ناقوس دير على شـــرف .... مسبح في سواد الليل دعاء

1) في الخمرة:

قيل: النبيذ صابون الغم.

وكان الخليفة المأمون يقول: "النبيذ ستر ، فانظر مع من تهتكه".

ويقول: "إن مجلس النبيذ بساط يطوى مع انقضائه". ويقول أيضا: "اشرب النبيذ ما استبشعته ، فإذا سهل عليك فدعه".

وسأل المنصور أبا بكر الهذلي عن النبيذ فقال: تمادت فيه السفهاء حتى كرهته العلماء.

وقال ابن شبرمة لكاتبه: أتشرب النبيذ؟ قال: القدحين والثلاثة ، فقال: والله ما شربت شرب من يلتذونه ، ولا تركته ترك من يتحرج منه.

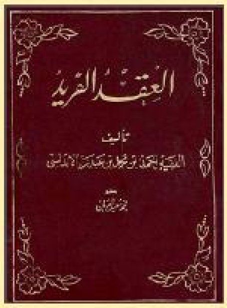
وقال شاعر:

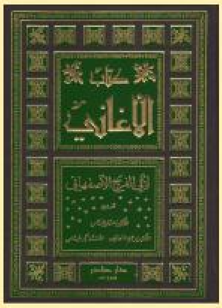
أرى الخمر تُرْبي في العقول فتنتضي ...... كوامن أخلاق تثير الدواهيـــا
تزيد سفيه القوم فضل سفاهــــــة ..... وتترك أخلاق الكريم كما هيا

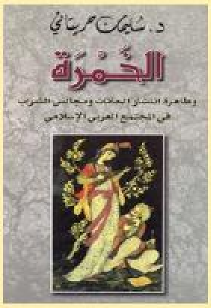
وسئل بعضهم عن استطابة الشراب فقال: وددت أني كنت بعوضة ، فأموت تحت قربة نبيذ حتى يكون موتي في خلال نعيم.

وللخمرة مفعولها فقد توهم صاحبها بالسخاء. قال شاعر عن صديقه:

كساني قميصا مرتين إذا انتشى .... وينزعه مني إذا كان صاحيا
فلي فرحة في سكره بقميصه ...... وفي الصحو روعات تشيب النواصيا
فيا ليت حظي من سروري وترحتي .... ومن جوده ألا علي ولا ليا







وحدثنا أبو جعفر البغدادي (العقد الفريد ج.6 ، ص.337) ، قال: كان بالجزيرة رجل يبيع نبيذا في ماخور له ، وكان بيته من قصب ، وكان يأتيه قوم يشربون عنده ، فإذا عمل فيهم الشراب قال بعضهم لبعض: أما ترون بيت هذا النباذ من قصب؟ فيقول بعضهم: علي الآجر ، ويقول الآخر: علي الجص ، ويقول الثالث: علي أجر العامل ، فإذا أصبحوا لم يفعلوا شيئًا. فلما طال ذلك على النباذ قال فيهم:

لنا بيت يهدم كل يوم .... ويصبح حين يصبح جذم خص
إذا ما دارت الأقداح قالوا: .... غدا نبني بآجر وجص
وكيف يشيد البنيان قوم .... يمرون الشتاء بغير قمص

وابتداء من العهد الراشدي كانت عقوبة الخمر تطبق عمليا في حالة السكر لا على الشراب ، بمعنى إذا ظهر أمر شارب الخمر بين الناس وعرف أنه سكران ، طبق عليه الحد.

ومن طريف ما يروى في هذا المجال ، قصة الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، أخ عثمان بن عفان لأمه ، وكان من فتيان قريش وشعرائهم الذين عرف عنهم التهتك في الشراب ، ويقال إنه كان من المرتدين ثم عاد وعينه عثمان واليا على الكوفة ، فشهد عليه أهل الكوفة أنه صلى بهم الصبح ثلاث ركعات وهو سكران ، ثم التفت إليهم فقال: إن شئتم زدتكم (العقد.8 ، ص.55).

وكان الشاعر عبد الرحمان بن أرطأة يلجأ إلى مجلس الخمر خفية ، ويذكر أنه كان ينادم الوليد بن عثمان على الشراب فيبيت عنده خوفا



من أن يظهر وهو سكران فيحد ، يقول:

بات الوليد يعاطيني مشعشعة .... حتى هويت صريعا بين أصحابي
لا أستطيع نهوضا إن هممت به .... وما أَنْهَنَهُ من حسو وتشراب
حتى إذا الصبح لاحت لي جوانبه ...... وليت أسحب نحو القوم أثوابي

وكان إبراهيم بن هرمة الشاعر مغرما بالشراب وحده عليه جماعة ، وعندما مدح الخليفة المهدي بقصيدة ، أعجب المهدي بشعره وقال: سل حاجتك؟ قال: تأمر لي بكتاب إلى عامل المدينة ألا يحدني على شراب ، فبدا الأمر صعبا ويتناقض مع صفة أمير المؤمنين ، فاستشار في الأمر ، وأمر أن يكتبوا إلى عامل المدينة: من أتاك بابن هرمة سكران فاضرب ابن هرمة ثمانين ، واضرب الذي يأتيك به مائة. فكان الشرطي إذا مر بابن هرمة سكران ، قال : من يشتري الثمانين بالمائة.

2) في النديم:

حرص شعراء الخمر في الحانات الخاصة ألا تكون الخمر مشاعا بين الناس يعاقرونها متى يشاؤون ، لذلك قصروها على فئة تعرف قدرها



وتجلها ، فكان اختيار الندماء مع إبعاد البخلاء والثقلاء ، ذلك أن النديم يستطيع أن يبني ويهدم مجلس الخمر في آن.

ويروي صاحب الأغاني 11 (ص.302) أنه كان لحارثة بن بدر الغداني نديم واحد لا يكاد يفارقه ، ويصرح بتعلقه به في المجلس ، يقول:

فقلت: أسكران؟ فقال مكابرا : .... أبى الله لي أن أستخف وأسكرا
فقلت له: اشرب هذه بابلية .... تخال بها مسكا ذكيا وعنبرا

وفي العقد الفريد (6 ، ص.334) قيل لمشارب الرجل نديم ، من الندامة لأن معاقر الكأس إذا سكر تكلم بما يندم عليه ، كما يقال: جالسه ، فهو جليس له.

وقال أبو عمر الثقفي: النبيذ حرم على أحد عشر رجلا:

من حبس أول قدح ، ومن اتكأ على اليمين ، ومن أكثر أكل النقل (القطعة) ، ومن مسح يده أو فمه بالريحان في المجلس ، ومن بل ما بين يديه بالنبيذ ، ومن عربد ، ومن طلب العشاء ، ومن أكثر الشر في





المجلس ، ومن بات في الموضع الذي يدعى إليه ، ومن امتخط في منديل النبيذ ، ومن غنى بالخطأ ، وتعلل بقطع الأوتار وإصلاحها.
قال الشاعر العطوي:
تصفو الزجاجة بالنديم إذا صفا .... ويكدر الندمان صفو الراح

وقال الأصمعي: العربدة حية تنفخ ولا تؤذي. وقيل في عربيد:
إذا انتشى خاصم في الدين وإن .... صادف إنسانا يماريه
ويدعي الشرب ويهذي به .... والقدح الواحد يكفيه
يحبس كأس القوم في كفه .... حتى إذا قالوا له: إيه
أفضل ثلث الكأس في قعرها .... ومج ثلث الكأس من فيه

كما تحدث الشعراء عن معاملتهم للندماء حين يسكرون ، فيتفوهون بما لا يناسب المقام أحيانا . يقول الشعر الحارثة بن بدر الغداني:
وإن سبني جهلا نديمي لم أزد ...... على اشرب سقاك الله طيبة النشر
أرى ذاك حقا واجبا لمنادمي .... إذا قال لي غير الجميل من الذكر

وفي الموضوع نفسه ، يقول أبو جلدة اليشكري الشاعر الموي ، وقد سكر نديمه وعربد عليه ، واحتمله أبو جلدة وسقاه حتى نام:
أبى لي إن ألحى نديمي إذا انتشى .... وقال كلاما سيئا لي مع السكر
ولست بلاح لي نديما بزلـة .... ولا هفوة كانت ونحن على الخمر
فما زلت أسقيه وأشرب مثل ما ...... سقيت أخي حتى بدا وضح الفجر
وأيقنت أن السكر طار بلبه .... فأغرق في شتمي وقال وما يدري

ولاك لسانا كان إذ كان صاحيا .... يقلبه في كل فن من الشعر

لقد انقسم الندماء في مجلس الخمر فريقين اثنين ، فريق حافظ على وجوده ، وبقي سيد نفسه ، وفريق آخر تنازل عن إنسانيته ، وتحول إلى دمية ، تحركها سلطة المجلس تتحكم بها كما تشاء.
يقول أبو نواس:
ولست بقائل لنديم صدق .... وقد أخذ الشراب بوجنتيه
تناولها وإلا لم أذقها .... فيأخذها وقد ثقلت عليه
ولكني أداري الشرب عنه .... وأصرفها بغمزة حاجبيه
فإن مد الوساد لنوم سكر .... دفعت وسادتي أيضا إليه

ويبدو الشاعر الأقيشر حزينا ، وقد غادره ندماؤه ، منهم من تنسك ومنهم من مات ، يقول:
غلب الصبر فاعترتني هموم .... لفراق الثقات من إخواني
مات هذا وغاب هذا وهذا .... دائب في تلاوة القرآن
وقد كان قبل إظهاره النسـ .... ـك قديما من أظرف الفتيان

3) في الساقي:

يمثل العلاقة التي تربط الخمر بشاربيها في الحانات العامة خاصة ، ويراقب المجلس بعين الساهر على راحة الشرب ولا يشغله أمر ما عنهم. يقول الخطل:
وقلنا لساقينا: عليك فعد بنا .... إلى مثلها بالأمس فالعود أحمد





فجاء بها كأنما في إنائه .... بها الكوكب المريخ تصفو وتزبد
تميت وتحيي بعد موت وموتها .... لذيذ ومحياها ألذ وأمجد

وقد يكون الساقي امرأة ، فيحلو مجلس الشراب ، كما يقول جحظة:
وخمارة من بنات المجوس .... تبيع المدامة في دارها
وجاءت تهادي كقد القضيب .... سقته الغوادي بأمطارها
وفي كفها قهوة في الإناء ....وكالنار لم تغل في نارها
كوجنة من هي في كفها ....ونكهتها وقت أسحارها
فمن قارص وردتي خدها .... ومن جاذب فضل زنارها

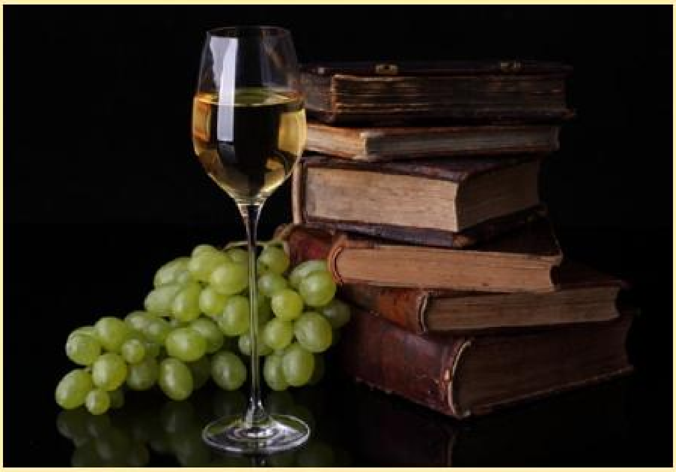
وكان الشاعر الحسين بن الضحاك الخليع ، يلازم حانة يقال لصاحبها يوشع ، ويتولى الخدمة فيها ابن له أمرد ، حسن الوجه. وكان الحسين



يأتي الشيخ الخمار من أجل ابنه حبا له. ومن قوله فيه ، واصفا حسن مشيته ، وقده المقدود تحت المسوح الدارسة:
خمار حانتها إن زرت حانته .... أذكى مجامرها بالعود والغار
يهتز كالغصن في سلب مسودة ....كأن دارسها جسم من القار

ويحكي "مرعبدا" صاحب حانة دير حنة ، قصة طريفة ، تظهر طريقة الساقي وحرصه على القيام بما تتطلبه الصناعة ، يقول: ما شعرت يوما وقد فتحت حانوتي ، وجلست إلى جانب الهيكل ، إلا بثلاثة فوارس قد أقبلوا في طريق السماوة في البر ، حتى وقفوا علي ، وهم ملثمون بعمائم الخز ، وعليهم حلل القصب ، فسلموا علي ، وأسفر أحدهم ، وقال: أنت مرعبدا ، وهذا دير حنة ؟ فقلت نعم ، قال : قد وصفت لنا بجودة الشراب والنظافة ، فاسقني رطلا ، فبادرت فغسلت يدي ، ثم نقرت الدنان ونظرت أصفاها ، فبزلته ، فشرب ، ومسح يده وفمه بالمنديل ، ثم قال: اسقني آخر ، فغسلت يدي ، وتركت ذلك الدن ، وذلك القدح والمنديل ، ونقرت دنا آخر ، فلما رضيت صفاءه ، بزلت منه رطلا في قدح ، وأخذت منديلا جديدا ، فناولته إياه ، فشرب كالأول ثم قال: اسقني رطلا آخر ، فسقيته في غير ذلك القدح ، وغير ذلك المنديل ، فشرب ومسح فمه ويده ، وقال لي: بارك الله فيـــك ، فما أطيب شرابك وأنظفك وأحسن أدبك ، وما كان دأبي أن أشرب أكثر من ثلاثة أرطال ، فلما رأيت نظافتك ، دعتني نفسي إلى شرب رابع ، فهاته ، فناولته إياه على تلك السبيل ، فشرب وقال: لولا أسباب تمنعني لكان حبيبا إلي جلوسي يومي هذا فيه. وولى منصرفا في الطريق الذي بدا منه ، ورمى إلي أحد الراكبين اللذين كانا معه بكيس ، فقلت: وحق النصرانية لا قبلته حتى أعرف الرجل ، فقال: هذا الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وصفت له ، فأقبل من دمشق حتى شرب من شرابك ورأى ديرك والحيرة ، ثم انصرف ، فحللت الكيس فإذا هو أربعمائة دينار.

وقد أبدع الشاعر أبو نواس في وصف السقاة ضمن نصوصه الكثيرة ، يقول:



في مجلس حوله الأشجار محدقة .... وفي جوانبه الأنهار تطرد
لا نستخف بساقينا لعزتــه .... ولا يرد عليه حكمه أحد

وكان أبو نواس يستحسن أن يكون الساقي ذميا يتمنطق بالزنار على خصره:
فلما حكى الزنار أن ليس مسلما .... ظننا به خيرا فظن بنا شرا
فقلنا: على دين المسيح بن مريم .... فأعرض مزورا وقال لنا كفرا
فقلنا له: ما الاسم قال: سموؤل .... على أنني أكنى بعمرو ولا عمرا
فقلنا له عجبا بظرف لسانـه .... أجدت أبا عمر فجود لنا الخمـرا
فجـاء بها زيتية ذهبية ....فلم نستطع دون السجود لها صبرا

4) في الغناء والطرب:

ما اجتمع الشراب والشعر إلا وكان الغناء.
وقيل: غناء بلا شراب كنخلة بلا عطية ، وهدية بلا نية ، ورعد بلا مطر ، وشجر بلا ثمر ، وروضة بلا غدير.
وحضر جحظة مجلس بعض الكبار مرارا ، وكان إذا تغنى له يقول له: أحسنت ، ولم يكن يخوله شيئا ، فقال فيه:
إن تغنيت قال أحسنت زدني .... وبأحسنت لا يباع الدقيق

وكان الخلفاء كلهم أمويين كانوا أو عباسيين سواء ، في استفزاز الغناء لهم ، فأبو جعفر المنصور إذا طرب ربما أراد أن يصفق بيديه ، فيقوم عن مجلسه ويدخل بعض حجر نسائه ، فيكون ذاك هناك. وكان الهادي في مجلس الغناء ، يثب من فراشه من الطرب ، ويشرب بالأرطال وهو قائم على قدميه. أما الرشيد فكان يلتزم أبهته ووقاره ، فإذا ملكه الطرب تحرك حركة بين الحركتين في القلة والكثرة. ويقول إسحاق الموصلي عن الأمين: ما كان أعجب أمره كله ، فما كان يبالي أين قعد ومع من قعد ، وكان بينه وبين ندمائه مائة حجاب ، خرقها كلها حتى يقعد حيث قعدوا.

وكان معظم الخلفاء وأبناؤهم ، يتقنون صناعة الغناء. فقد كانت علية بنت المهدي متفننة. وقد قيل: إنه ما اجتمع في جاهلية ولا إسلام ، أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم المهدي وأخته علية ، وبلغ ما يؤثر لها من أصوات ثلاثة وسبعين صوتا.

ومنهم أبو موسى بن الرشيد ، وكان جيد الصنعة وله أغان منسوبة إليه ، ومعروفة به.

ومنهم عبد الله بن موسى وكان من أضرب الناس بالعود وأحسنهم غناء ، وعبد الله بن محمد الأمين ، وكان ظريفا غزلا ، يقول شعرا لينا ، ويصيغه صنعة صالحة.

ومنهم الشاعر عبد الله بن المعتز ، وكان حسن العلم بصناعة الموسيقى والكلام عن النغم ، وعللها وله أصوات.

وأما الخلفاء فالواثق بالله وكان أحذق من غنى بضرب العود ، وكان يغني في الشعر البليغ وله مائة صوت. وكان المنتصر بالله حسن العلم بالغناء ، أما المعتز بالله فكان يغني أصواتا. ومنهم المعتمد على الله ، وله يد في الغناء وصنعة حسنة ، وقيل إنه جمع النغم العشر في صوت صنعه في شعر دريد بن الصمة ، وهو من جيد الصناعة ونادرها. وقد وضع ألحانا في عدة أشعار ، وله أصوات تناهز المائة.

وكان الخلفاء من بني أمية لا يظهرون للندماء والمغنين ، وكان بينهم ستارة ، وكان بنو العباس في أول أيامهم يظهرون ثم احتجبوا عنهم ، وكان المهـــدي في أول أمره يحتجب ، ثم ظهر لهم ، قال: اللذة في مشاهدة السرور والدنو من الأحباب.

ويحدثنا عطارد عن مجلس للوليد كان يغنيه فيه ، قال: أدخلت على الوليد بن يزيد وهو جالس في قصره على شفير بركة مرصصة مملوءة خمرا ، ليست بالكبيرة ، ولكنها يدور الرجل فيها سباحة فوالله ما تركني أسلم عليه حتى قال: لقدح كنت إليك مشتاقا يا أبا هارون ، غنني:

إني بحبلك واصل حبلي .... وبريش نبلك رائش نبلي

وشمائلي ما قد علمت وما .... نبحت كلابك طارقا مثلي

قال: فغنيته ، فوالله ما أتممته ، حتى شق حلة وشي كانت عليه لا أدري كم ثمنها ، فتجرد كما ولدته أمه وألقاها نصفين ورمى بنفسه في البركة ، فنهل منها حتى تبينت فيها نقصانا بينا ، وأخرج منها وهو كالميت سكرا ، فأضجع وغطي ، فأخذت الحلة وقمت منصرفا إلى منزلي ، متعجبا مما رأيت من ظرفه وفعله وطربه. وفعل في اليوم الثاني كما فعل في اليوم السابق. ولما كان اليوم الثالث ، جاءني رسوله فدخلت إليه وهو في بهو قد ألقيت ستوره ، فكلمني من وراء الستور ، قال: يا عطارد فقلت: لبيك يا أمير المؤمنين. قال: كأني بك الآن قد أتيت المدينة ، فقمت في مجلسها ومحفلها وقعدت. وقلت: دعاني أمير المؤمنين فدخلت عليه وفعل وفعل ، والله يا بن الزانية ، لئن تحركت شفتاك بشيء مما جرى ، فبلغني لأضربن عنقك ، يا غلام ، أعطه ألف دينار ، خذها وانصرف إلى المدينة. فخرجت من عنده ، وما علم الله أني ذكرت شيئًا مما جرى ، حتى مضت من دولة بني هاشم مدة (الأغاني .3 ، ص.307).

الحانات العامة:

كانت الحانات العامة متواضعة من حيث التأثيث ، وكانت عبارة عن منزل صاحبها في أغلب الأحيان ، يستر فيها أمره عندما تعنف المطاردة



... وجعلن لأبواب منازلهن الواسعة، طاقات صغيرة في مستوى الوجه، يفتحنها ليراقبن الزقاق والتعرف على الطارق، حتى إذا اطمأنن إليه، فتحن الباب على مصراعيه، ورحبن به كما يليق بالصديق...





وتشتد المداهمة من قبل شرط الوالي أو الأمير ، وكانت تتألف من غرفة أو بعض غرفة ، ولا تحتوي إلا ما يحتاج إليه الخمار في صنعته والشارب في تعاطيهن وهي أمور لا تتعدى في العادة البسط والوسائد التي يتمدد عليها الشاربون وفي أيديهم كؤوسهم ، ولما كان لا يقدم في الخمارات العامة المقبلات والمشهيات إلا فيما ندر ، فقد انعدمت فيها الموائد والكراسي ، وقد أبدع أبو نواس نقولا خاصة به يقول:

مالي في الناس كلهم مثل .... مائي عقار ونقلي القبل

وكان الزبناء يرتادونها في النهار وفي غبش المساء ولكنهم في الغالب يطرقونها وقد مضى من الليل أكثره ، حتى ليزعج صاحب الحانوت وتضطرب حواسهن وينخلع قلبه من قرع الباب عليه ، في مثل هذه الساعة التي لا يركب الليل فيها إلا الأشقياء من القتلة واللصوص ومخيفي السبيل ، فإذا عرفوا صاحب الحانة بهم ، سري عنه وزايله رعبه ، وأسرع إلى خدمتهم وفي يده مسرجته "ألحان الحان عبد الرحمان صدقي" يقول أبو نواس:

وفتية كنجوم الليل أوجههم .... من كل أغيد للغماء فراج
طرقت صاحب حانوت بهم سحرا .... والليل منسدل الظلماء كالساج
لما قرعت عليه الباب أوجله .... وقال بين مسر الخوف والراجي:
من ذا؟ فقلت فتى نادته لذته .... فليس عنها إلى شيء بمنعاج
افتحن فقهقه من قولي وقال: لقد ...... هيجت خوفي لأمر فيه إبهاجي
ومر ذا فرج يسعى بمسرجة .... فاستنل عذراء لم تبرز لأزواج
مصونة حجبوها في خدرها .... عن العيون بكسرى صاحب التاج

ولم يكن من عادة أصحاب الخمارات أن يتناولوا من لزبناء ثمن كل قدح على حدة ، وإنما يبيعونهم إبريقا مملوءا ، يتسلمه الساقي الذي عهد ت إليه مهمة متابعة سقيهم ، فإذا ما فرغ الإبريق قبضوا ثمن الثاني وأترعوه خمرا ، وهكذا دواليك.. وكانت الأباريق والكؤوس تصنع عادة من الفخار والحديد في الحانات العامة.

كما كان للحانات كلاب حراستها والتي لا تهر على من تعرفهم ، بل إنها تنحني بعد أن تشتم ريحهم ، فإذا طرقوا باب الخمار هب من فراشه يفتح لهمن يقول أبو نواس:

يا رب صاحب حانة قد رعته .... فبعثته من نومه المتنزمل
عرفت ثياب الطارقين كلابه .... فلبثن عن سنن الطريق بمعزل
ما زلت أمتحن الدساكردونه .... حتى نزلت على خفي المنزل

وكان أصحاب الحانات يخافون من الشرطة ومن قاطعي الطريق ممن يرتزقون بالتحرش بأصحاب الأموال ، وكانوا كثيرين بالمدن ولاسيما بغداد ، وكانوا يجاهرون بحق الفقراء والأخذ من الأغنياء عنوة وغصبا ، حتى أن أبا نواس حين قدم بغداد كان أمله واحدة من اثنتين ، إما أن يكون نديم خليفة أو مخيف سبيل (" ألحان الحان" ، صدقي) يقول:

سأبغي الغنى إما نديم خليفة .... يقوم سواء أو مخيف سبيل
ألم تر أن المال عون على التقى .... وليس جواد معدم كبخيل

ولم يكن أصحاب بيوت الخمر كلهم رجالا بل كان فيهم النساء ، من غير المسلمات ، ومنهن من تعتز بالوالي المحسوبة عليهن وتحظى برعايته:

في بيت كافرة بالخمر تاجرة .... شمطاء شاطرة تعتز بالوالي
فبيتها حرم ، وقولها نعم .... وكيلها حكم في كل مكتال

وكان بعض أولائك النسوة يشتغلن عاملات عند الخمارين ، يجلسن إلى دكة الحانوت ، وبين أيديهن الميزان ، يستوفين النقد معجلا ، خوف المطاولة في الفع ، يقول أبو نواس:

ودهقانة ميزانها نصب عينها .... وميزانها للمشترين غشوم
فقلت: بكم رطل ؟ فقالت: بأصفر .... فحزت زقاقا وزرهن عظيم
فرحت بها في زورق قد كتمتها .... ومن أين للمسك الذكي كتوم

وبشكل عام ، كانت هذه الحانات متوارية لا تعلن عن نفسها ، خوفا من رجال الشرطة الذين كانوا يتعقبون أصحابها ، ويفرضون عليهم العقاب المناسب وذلك بإقفال الخمارة وإهراق الخمور المعتقة بالطرقات ، وربما بجلد صاحبها وسجنه أحيانا.

غير أن القائمين على إدارة هذه الخمارات يرتبون أمورهم برشوة أصحاب النفوذ والتفاهم مع رجال السلطة ، لأن الحانات تدر على أصحابها المال الوفير.

وبالنسبة للحانات التي تدار من طرف النساء ، فقد ابتكرن أساليب ترد عنهن كيد الشرطة ، وذلك بأن جعلن لأبواب منازلهن الواسعة ، طاقات صغيرة في مستوى الوجه ، يفتحنها ليراقبن الزقاق والتعرف على الطارق ، حتى إذا اطمأن إليه ، فتحن الباب على مصراعيه ، ورحبن به كما يليق بالصديق ، وإذا خشين سعاية ، أو أنكرن الزي ، أوصدن الباب جيدا بالمزلاج ، وتحصن وراءه وأنكرن أن لديهن خمرا ومتعة (الجواري / عبد النور ، ص.44).

ويتحدث أبو نواس في موضوع خوف أصحاب الحانات ، يقول:

ففزع من إدلاجنا بعد هجعة .... وليس سوى ذي الكبرياء رقيب
تناوم خوفا أن تكون سعاية .... وعاوده بعد الرقاد وجيب
ولما دعونا باسمه طار ذعره .... وأيقن أن الرحل منه خصيب
وقال: ادخلوا حييتم من عصابة .... فمنزلكم سهل لدي رحيب

وتروى حكاية عن الشاعر الأقيشر ، وقد شرب يوما في بيت خمار ، فجاءه شرطي من شرط الأمير ليدخل عليه ، فأغلق الباب ، فناداه الشرطي: اسقني نبيذا وأنت آمن ، قال الأقيشر: والله أنت لا آمنك ، ولكن هذا ثقب في الباب ، فاجلس عنده ، وأنا أسقيك منه ، ثم وضع له أنبوبا من قصب في الثقب ، وصب فيه نبيذا من داخل ، والشرطي يشرب من خارج حتى سكر ، فقال الشاعر:

سأل الشرطي أن نسقيه .... فسقيناه بأنبوب القصب
إنما نشرب من أموالنا ....فاسأل الشرطي ما هذا الغضب

الحانات الخاصة :

وكانت مخصصة للسراة من الناس وكانت حسنة البناء ، مؤزرة ومسقفة بخشب الساج العريق ، وهي غاية في النظافة والأناقة ، وخماروها من أظرف الخمارين ، لا يبيعون إلا شرابا مختارا ، ولا يبيعون أحدا من العامة والوضعاء. وبعض هذه الحانات كانت لا يعرض لها جباة الضرائب والخراج في بعض الأحايين لاعتزازها بأصحاب الجاه والسلطان.

وقد قام الخليفة الواثق بإنشاء خمارتين: إحداهما في دار الحرم ، والأخرى على الشط ببغداد ، فقد كان مغرما بجو الحانات وما قيل فيها ، ولما كان مقامه يحول دون تردده عليها ، أمر بإنشاء هاتين الحانتين ، وقامت الجواري بالإشراف على حانة الحرم ، والغلمان في حانة الشط ، ونقل إليها طرائف المشروبات وفرشها فرش الخلافة ، وعلق عليها الستور ، وجعل فيها الأواني المذهبة ، وأمر بإحضار المغنين ، وكان يؤتى بنماذج من المشروبات فيذوقها ويعرض ذلك على الجلساء ، فيختار كل منهم ما يشتهيه ، ويجيء إلى الخمار ويكتال منه بمكيال في إنائه ، كما يفعل في الحانات العامة ، ويعود إلى موضع يجلس فيه ، وأمر أن يجعل على رؤوس الحضور أكاليل من الآس وما أشبهه من الرياحين.

وحكى الشاعر الحسين بن الضحاك أن الواثق قال له: هل لك في حانة الشط ؟ فقال الشاعر: أي والله يا أمير المؤمنين ، فقام إليها ، فشرب هناك وطرب والشاعر معه ، وما ترك الخليفة أحدا من الجلساء والمغنين والحشم إلا أمر له بصلة ، فلما كان الغد ، غدا الحسين على الخليفة فقال: أنشدني يا حسين شيئا إن كنت قلته في يومنا هذا الماضي ، فأنشدته:

يا حانة الشط قد أكرمت مثوانا .... عودي بيوم سرور كالذي كانا
لا تفقدينا دعابات الإمام ولا .... طيب البطالة إسرارا وإعلانا
ولا تخالعنا في غير فاحشة .... إذا تطربنا الطنبور أحيانا
سقيا لعيشك من عيش خصصت به .... دون الدساكر من لذات دنيانا



وكان أبو جعفر المنصور إذا طرب ربما أراد أن يصفق بيديه، فيقوم عن مجلسه ويدخل بعض حجر نسائه، فيكون ذاك هناك. وكان الهادي في مجلس الغناء، يثب من فراشه من الطرب، ويشرب بالأرطال وهو قائم على قدميه. أما الرشيد فكان يلتزم أبهته ووقاره، فإذا ملكه الطرب تحرك حركة بين الحركتين في القلة والكثرة...

فأمر له الواثق بصلة سنية مجددة ، واستحسن الشعر وأمر أن يغنى به.

ومما ذكره عبد النور في "الجواري" أن خادم المتوكل انصرف إلى مثل هذه التجارة الرابحة ، فاتخذ مثل هذه الحانة الأنيقة الظاهرة ، مقرا للشاربين والمجان من الأثرياء والقواد وأبناء الأسر الشهيرة ، فلا يسمح لحد من العامة بالدخول إليها ، وحسن فيها أدوات الشراب واتخذ لها خمارا يهوديا لبقا حاذقا ، وحال بنفوذه وماله دون عيون الشرطة.

وكانت هذه الحانات الخاصة تتوافر فيه الكؤوس والأباريق المصنوعة من الذهب والموشاة بالرسوم والتصاوير التي ترمز على مشاهد من معارك حربية تعود إلى العهدين الفارسي والبيزنطي ، يقول أبو نواس:

فحل بزالها في قعر كأس .... محفرة الجوانب والقرار
مصورة بصورة جند كسرى .... وكسرى في قرار الطرجهار

ومن الحانات الخاصة حانة "هشيمة" بدمشق وكانت صاحبتها تخدم





الوليد بن يزيد في شرابه ، وتتولى اتخاذه إليه ، وقد عمرت هشيمة حتى أدركت الرشيد وماتت في أيامه.

المجالس الخاصة:

كتب الثعالبي (اليتيمة.2 ، ص.235) عن مجلس شراب خاص بالوزير المهلبي فقال: وكان جماعة من الكبراء ينادمون الوزير المهلبي ، ويجتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والبسط في القصف والخلاعة ، منهم ثلاثة قضاة: ابن قريعة ، وابن معروف والتنوخي ، وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها ، فإذا اكتمل الأنس وطاب المجلس ولذ السماع وأخذ الطرب منهم مأخذه ، وهبوا ثوب القار للعقار ، وتقلبوا في أعطاف العيش بين الخفة والطيش ، ووضع في كف كل منهم كأس ذهب وزنه ألف مثقال إلى ما دونها مملوءا شرابا ، فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تتشرب أكثره ، ويرش بها بعضهم على بعض ، ويرقصون أجمعهم ، وإذا أصبحوا عادوا لعاداتهم من التزمت والتحفظ بأبهة القضاة وحشمة المشايخ الكبراء.

ويصف صاحب العقد (ج.8 ، ص.46) مجلس شراب وطرب لإبراهيم الموصلي يقول: حدث يحيى بن محمد قال: دعانا إبراهيم الموصلي إلى منزله ، فانصرفنا معه قال: فدخلت دارا لم أر أشرف منها ولا أوسع ، وإذا أنا بأفرشة خز مظهرة بالسنجاب ، فقعدنا ثم دعا بقدح كبير فيه نبيذ وقال:

اسقني بالكبير إني كبير .... إنما يشرب الصغير الصغير

ثم قال:

اسقني قهوة بكوب كبير .... ودع الماء كله للحمير

ثم شرب به ، وأمر به فملئ ، ثم قال: إن الخيل لا تشرب إلا بالصفير ، ثم أمر بجوار ، فأحطن بالدار ، فما شبهت أصواتهن إلا بأصوات طير في أجمة يتجاوبن.

وحكى ابن الصلصال قال: كان أبو نواس يأتي الكوفة يزورني ، فقدم علينا مرة وقد نهاه الخليفة محمد الأمين عن الشراب ، فسأل عني ووافاني وفي يدي شيء منت شراب جابر ، عجيب الحسن والرائحة ، فقال لي: يا أبا جعفر لا يجتمع هذا والهم في صدر واحد ، وكان شديد العجب بضرب الطنبور ، وكان إذا جاءني جمعت له ضراب الطنابير ، وكانت الكوفة معدنهم ، وكان يسكر في الليلة الواحدة سكرات ، فجمعت له منهم جماعة ، وأحضرته شيئا من ذلك الشراب ، فقال: هاتها في كذا وكذا من أم الأمين ، فأخذ القدح وشرب معنا ثم شخص إلى الأمين ، وحدثه الحدث قال: أحسنت وأجملت ، فاشخص حتى تحمل إلي صديقك هذا ، فقدم إلي ، فحملني إليه فلم أزل معه حتى قتل.

شراب الأديرة:

كان الدير مقاما للرهبان ، اعتزالا للناس وانقطاعا لله بالعبادة والتأمل ، ولما كانت الخمر تدخل عند النصارى في أسرار القربان المقدس ومراسمه ، فقد اعتنت الأديرة بتوفير الكروم فيها واتخاذ المعاصر بها ، والخبرة بصناعة الخمور وإحكام تعتيقها ، وإلى جانب الدور الديني والإنساني والاجتماعي الذي لعبته الأديرة ، كان لهـــا دور

آخر حين تحولت مسارح لهو وأماكن قصف وشراب وملاذا للمجان والشعراء.
ولا يكاد يخلو مصنف في أوصاف البلدان من ذكر الأديرة ومواضعها وجملة من أخبار مجالسها وما قيل من الأشعار فيها ، بل كتبت كتب خاصة بهذه الأديرة أو الديارات ككتابي "الديارات" للشابشتي وأبي الفرج الأصفهاني.
وقد كانت هذه الأديرة مقصدا للعرب منذ أيام الجاهلية ، وللأعشى ميمون أشعار كثيرة في وصفها ووصف مجالس الشراب والغناء بها:

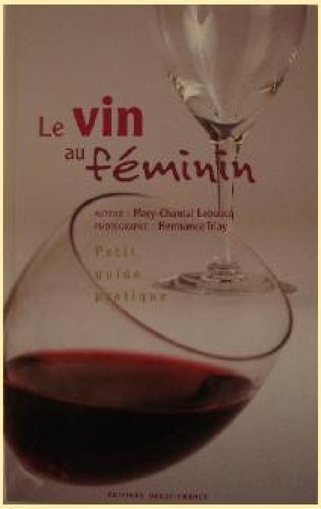
ألم تنه نفسك عما بها .... بلى عادها بعض أطرابها
وكعبة نجران حتم عليـ .... ـك حتى تناخي بأبوابها
نزور يزيد وعبد المسيح .... وقيسا هم خير أربابها
وكأس شربت على لذة .... وأخرى تداويت منها بها

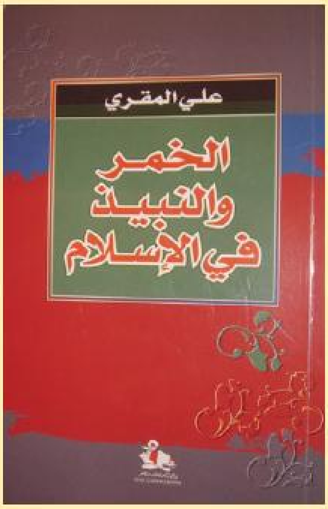
ولما كانت الأديرة تقع في ظواهر البلاد وفي الخلوات والجبال فهي في طريق المسافرين والخارجين للصيد من ملوك وأمراء والطالبين للتنزه ، ومن ثمة تعود المسلمون الخلطة بالرهبان.
وحدث إسحاق الموصلي (الديارات ، لأبي الفرج ، ص.108) قال: خرجنا مع الرشيد إلى الرقة ، فزرنا دير "القائم الأقصى" فاستحسن الرشيد الوضع وكان الوقت ربيعا ، فشرب على ذلك ثلاثة أيام ، ودخلت الدير فطفته ، فإذا فيه ديرانية ، نهد ثدياها وعليها مسوح ما رأيت قط أحسن منها وجها ، وقدا واعتدالا ، فدعوت بنبيذ ، فشربت أقداحا وقلت فيها:

بدير القائم الأقصى .... غزال شادن أحوى
ترى حبي له حبسي .... ولا يدري بما ألقى
وأخفي حبه جهدي .... ولا والله ما يخفى

ثم دعوت العود وغنيت صوتا حسنا ، ولم أزل أكرره وأشرب عليه حتى سكرت ، فلما كان الغد ، دخلت على الرشيد وأنا ميت سكرا ، فاستخبرني فأخبرته بقصتي ، فقال:







طيب ، وحياني ودعا بالشراب ، فشرب سائر يومه ، فلما كان العشي قال: قم حتى أتنكر وأدخل معك على صاحبتك فأراها ، فركب حمارا ، وتلثم بردائه ، فدخلنا فرآها ، وقال: مليحة والله ، ما ضيعت ما صنعت ، فأمر فجيء بكأس وأحضرت عودي وغنيته الصوت ثلاث مرات ، وشرب ثلاثة أرطال ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم ، فقلت له: يا سيدي ، فصاحبة القصة؟ فأمر لها بمثل ذلك ، وأمر ألا يؤخذ من مزارع هذا الدير خراج ، وأقطعهم إياه.
وعن دير "الأعلى" في الموصل ، يحدثنا أبو الفرج عن محمد بن يزيد بن حماد عن ابن إسحاق عن أحمد بن صدقةٌ قال: خرجنا مع المأمون ، فنزلنا الدير العلى ، لطيبهن وجلس المأمون في موضع فيه حسن مشرف على دجلة والصحراء والبساتين ، ويشاهد منه من يدخل الدير ، وزين الدير في ذلك اليوم بأحسن زي ، وخرج رهبانه وحولهم فتيانهم ، بأيديهم المجامر قد تقلدوا الصلبان ، وتوشحوا بالمناديل ، واستحسن المأمون ذلك ، وعطف إليه من كان معهم من الجواري والغلمان ، وبيد كل واحد منهم تحفة من رياحين ، وبأيدي جماعة منهم كؤوس فيها أنواع الشراب ، فأدناهم ، وجعل يأخذ من هذا ومن هذه تحية ، وهو خلال ذلك يشرب والغناء يعمل.
وكتب الشابشتي في "الديارات" يقول: خرج يحيى بن زياد ومطيع ابن إياس حاجين ، فلما قربا من دير "زرارة" قال أحدهما لصاحبه : هل لك أن نقدم أثقالنا ، ونمضي إلى زرارة ، فنشرب في ديرها ليلتنا ، ونزود من مردها وخمرها ما يكفينا إلى العودة ، ثم نلحق بأثقالنا ، ففعلا ، وسا الناس ، وأقاما ، فلم يزل ذلك دأبهما إلى أن انصرف الحاج ، فلما وصلا إلى الكوفة ، حلقا رأسيهما وركبا بعيرين ودخلا مع الحاج ، فقال مطيع:

ألم ترني ويحيى إذ حججنا .... وكان الحج من خير التجارة
خرجنا طالبي حج ودين .... فمال بنا الطريق إلى "زرارة"

وكان من شأن هذا الإقبال على خمر الأديرة أن اتخذت حانات لها ، تبتاع فيها خمرها ، ولما كان القساوسة في الشرق يتزوجون ، فقد كان القس إذا تولى الحانة من هذه الحانات استعان ببعض أهل بيتهن فتـــارة





أمه ، وتارة زوجته ، وتارات ابنته الجارية ، وفي غالب الأحيان ابنه الأمرد الشماس.

وللشاعر الوراق أبيات يعبر فيها عن حنينه إلى أيان الأنس والشراب والسرور التي أمضاها في دير "مريحنا" يقول:

أرى قلبي قد حنا .... إلى دير مريحنا
إلى ظبي من الأنس .... يصيد الإنس والجنا
فلما انبلج الصبح .... بزلنا بيننا دنا
فلما دارت الكأس .... أدرنا بيننا لحنا
ولما هاجع السمار .... نمنا وتعانقنا

شراب الخلفاء:

شرب الخمر علنا بعض الخلفاء مثل يزيد بن معاوية مؤسس الدولة ، وكتب الراغب الأصبهاني (المحاضرات ، ج.1 ، ص.331) يقول: إن الوليد بن عبد الملك كان يشرب يوما ويستريح يوما ، وسليمان كان يشرب كل ليلة ، وهشام يسكر في كل جمعة ، ويزيد بن الوليد مدمن الشرب ، فكان دهره بين سكر وخمار. وكان المنصور يشرب عشية الثلاثاوات ، وكان المأمون يشرب الثلاثاء والجمعة ، والمعتصم لا يشرب الخميس ولا الجمعة ، وأما ابن المعتز فكان لا يشرب إلا ليلا ، ويقول: الليل أمتع لا يطرقك فيه خبر فاظع ، ولا سبب مانع ، والنهار أبرص لا يتم فيه سرور.

وذكر صاحب الأغاني (ج.7 ، ص.60) أن الوليد بن يزيد إذا أصبح يوم الإثنين ، تغذى وشرب رطلين ثم جلس للناس.

ويروى أن أول من شرب الخمرة من خلفاء بني العباس ، كان الخليفة الهادي ، الذي كان يتناول المسكر ويلعب ولا يقيم للخلافة أبهة (تاريخ الخلفاء ، ص.260).

وكان للخليفة هارون الرشيد مجالسه الخاصة التي يشرب فيها الخمر ، فكان يشرب في يومي الأحد والثلاثاء ، وما رآه أحد يشرب نبيذا ظاهرا ، ويروي البشيهي (المستطرف.2 ، ص.187) عن الخليفة الواثق ، إنه كان يرقد في المكان الذي يشرب فيه ، ويرقد معه ندماؤه.

ويحدثنا عبد الله بن المعتز عن مجلس شراب وغناء للخليفة الأمين ، جمع أبا نواس وطائفة من ندماء الخليفة الذي كان أشد ميلا وأكثر علاقة من بعض من سبقه من الخلفاء إلى اللهو والمجون والشراب ، إذ حول قصر الخلافة إلى مقصف كبير (طبقات الشعراء ، ص.210) قال ابن المعتز: فأتى بالشراب كأنه الزعفران أصفى وأطيب ريحان وقام سقاة كالبدور ، وضربت المغنيات خلف الستائر ، فشربوا معه من صدر نهارهم إلى آخرهن فلما كان آخر النهار ، دعا بعشرة آلاف دينار في صواني ، فأمر فنثرت عليهم ، فانتهبوها ، والشراب بعد يدور عليهم من الصرف والممزوج ، حتى إذا نام واستيقظ ، طلب إلى أبي نواس أن ينشطه إلى متابعة السكر ببعض الأبيات فقال:

نبه نديمك قد نعس .... يسقيك كأسا في الغلس
صرفا كأن شعاعها .... في كف شاربها قبس
تذر الفتى وكأنما .... بلسانه فيها خرس
يدعى فيرفع رأسه .... فإذا استقل به نكس

كما شرب الخمر بعض النساء الأمويات الشريفات ، وأدمن عليها مثل زوجة الخليفة هشام بن عبد الملك ، المعروفة بأم حكيم ، التي كانت ، كما قيل ، منهومة بالشراب ، مدمنة عليه ، لا تكاد تفارقهن وكان لها كأس كبيرة تشرب بها من الزجاج الأخضر تسه ثلاثة أرطال ، ولها مقبض فيه من الذهب ثمانون مثقالا ، واشتهر كأس أم حكيم بين الناس ، لدرجة أن الخليفة الوليد بن يزيد كان يشرب به لشدة إعجابه بهن وقد وصفه شعرا ، فقال:

علِلاني بعاتقات الكروم .... واسقياني بكأس أم حكيم
إنها تشرب المدامة صرفا .... في إناء من الزجاج عظيم

طرائف خمرية:

قيل لبعضهم: أي المجالس أطيب ؟ فقال: لولا أن الشمس تحرق ، والمطر يغرق ، لما كان في الدنيا أحسن من شراب في الفضاء ، على وجه السماء.

وكان إسماعيل بن حمدون يصطبح ويغتبق خمسين سنة ، ثم تـرك

النبيذ فعمي ، فعاود عادته في الشراب ، فقيل له في ذلك ، فقال: لا يجتمع عمى وظمأ.

وقال رجل لآخر: وجهت إليك رسولا عشية أمس فلم يجدك ، فقال: هذا وقت لا أكاد أجد فيه نفسي.

ووضع رجل بالكوفة على باب المسجد نبيذا بين يديه ، وجعل ينادي: من يشتري رطلا بدرهم ، بتحليل أبي حنيفة ، فقال له أبو حنيفة: يا رجل ، إنك فعلت قبيحا ، فقال: ألست حللته ؟ قال: صدقت ، ومن الحلال أنك تجامع امرأتك ، ولو أحضرتها الجامع وجامعتها لاستقبح ذلك (المحاضرات ، ج.2).

ومما يحكى في مجال الغناء ، أنه كان لبعض الظرفاء مغنيتان: محسنة ، إذا غنت ، خرق قميصه ، ومسيئة ، إذا غنت ، قعد يخيطه.

وقد قيل: صاحب السكر يصير إما إلى قردية ، وهو الذي يضحك ويرقص ويحاكي القرد ، أو إلى كلبية ، وهو الذي يهارش ، أو إلى خنزيرية ، وهو الذي يتقيا ويخرى ويتلوث به ، أو إلى إنسانية ، وهو الذي يحسن خلقه.

وقال العتابي: كان في دارنا سكران ، فقعد على مصلى وسلح فيه ، فأخذت بيده إلى المستراح فنام فيه ، فقالت جاريتي: "يا عجبا ، كل شيء فيه مقلوب ، خرئ حيث ينام الناس ، ونام حيث يخرأ الناس..." (المحاضرات ، ج.2).

ونختم الطرائف بما وقع للشاعر أبي الهندي الرياحي ، فقد اشتهى الصبوح يوما ، فدخل خمارة "كُوهْ زيان" وأعطى الخمار دينارا ، وجعل يشرب حتى سكر ونام ، وجاء ندماؤه يسلمون عليه ، فوجدوه نائما ، فقالوا للخمار: ألحقنا به ، فسقاهم حتى سكروا. وانتبه أبو الهندي ، فسأل عنهم ، فعرفه الخمار حالهم ، فقال: الآن وقت السكر والآن طاب ، ألحقني بهم ، فسقاه حتى سكر ، وانتبهوا فقالوا للخمار: ويحك هو نائم إلى الآن ؟ فقال: لا ، انتبه وعرفته خبركم ، وسكر ونام ، فقالوا ألحقنا به ، فسقاهم حتى سكروا ، ولم يزل على ذلك ثلاثة أيام ، ولم يلتقوا وهم في موضع واحد ، ثم تركوا الشراب عمدا ، حتى أفاق فلقوه ، وفي ذلك يقول:

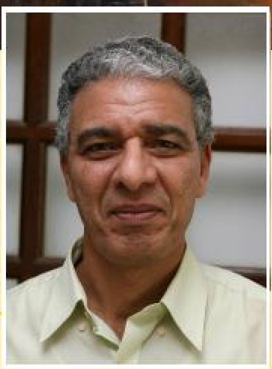
ندامى بعد ثالثة تلاقوا .... يضمهم بكوه "زيان" راح
وقد باكرتها فتركت منها .... قتيلا ما أصابتني جراح
فقالوا: أيها الخمار من ذا؟ .... فقال: أخ تخونه اصطباح
فقالوا هات راحك ألحقنا .... به وتعللوا ثم استراحوا
وحان تنبهي فسالت عنهم .... فقال: أتاحهم قدر متاح
رأوك مجندلا واستخبروني .... فحركهم إلى الشرب ارتياح
فقلت بهم فألحقني ، فهبوا .... فقالوا: هل تنبه حين راحوا
فقال: نعم ، فقالوا ألحقنا .... به قد لاح للرائي صباح
فما إن زال ذاك الدأب منا .... ثلاثا يستغب ويستباح
نبيت معا وليس لنا التقاء .... ببيت مالنا منه براح

(*) شاعر مغربي









نسر بخمسة عشر دولارا

قصة لـ "سيليفيا بلاث"

ترجمة: محمد عيد إبراهيم (*)

ولدت سيلفيا بلاث عام 1932 في بوسطن ، الولايات المتحدة. تخرجت في جامعة كيمبردج ، بريطانيا. تزوجت من الشاعر الإنجليزي تيد هيوز ، وعاشت في ديفون مع ولديها منه حتى انتحارها (الذي اتهم البعض فيه) عام 1963. امتُدح شعرها من البداية ، لكن ديوانها الثاني نُشر بعد وفاتها ، وهو ما رسخ سمعتها كشاعرة كبيرة وواحدة من العلامات البارزة فيما يُطلق عليه "الأدب الاعترافي". بعد ذلك نُشرت لها أربعة دواوين ، ورواية "عنق الزجاجة" تروي فيها سيرتها الذاتية ، وبعض اليوميات ، وثلة من القصص القصيرة.

هناك أماكن أخرى للوشم في ميدان ميدجان ، لكن ليس إحداها كدكان كارمي. إنه شاعر حقيقي بالإبرة والصبغ ، فنان له قلب. كان الصغار ، والعاطلون بالإعانة ، والأزواج الخارجون من المدن لحسو البيرة يفرملون سياراتهم أمام دكان كارمي ، بأنوفهم على النافذة ، واحداً كان أو أكثر. أنت حلمت ، يقول كارمي ، دون أن يقول كلمة ، لديك وردة على القلب ، ونسر في العضل ، لديك يسوع الجميل ذاته ، ولهذا ادخل عندي. البس قلبك على جلدك في هذه الحياة ، أنا الإنسان الذي بإمكانه أن يريحك. الكلاب ، الذئاب ، الجياد ، والأسود: لعاشق الحيوانات. بالنسبة للسيدات: فراشات ، طيور الجنة ، وجوه الأطفال الباسمة أو الباكية ، لهن الاختيار. ورود ، من كل الأنواع ، كبيرة ، صغيرة ، براعم أو في كامل ريعانها ، وورود بأسمائها المدونة ، وورود بأشواك ، وورود برؤوس كدُمى دريسدن تبرز من مركزها الميت ، تويجات قرنفلية ، أوراق خضر ، تبدو بديعة بخط رصاصي مسود. الثعابين والتنانين لفرانكشتين. ولن نذكر البنات راعيات البقر ، ولا بنات جزر هاواي برقصة الهولا ، لا حوريات الماء ولا ملكات السينما ، بحلماتهن الياقوتية الداكنة وعاريات الصدور كما تهوى. ولو كان لديك الوقت وعدت للوراء ، هناك المسيح على الصليب ، لص على مرفقيه وجناحان فوق الرأس إلى اليمين واليسار يحملان تدويناً عليه (جبل الجلجثة)(1) بخط إنجليزي قديم ، بأصفر مكدوم يقترب من الذهبي.

وفي الخارج كانوا يشيرون إلى صور متعددة الألوان ملصقة على حوائط دكان كارمي الثلاثة ، من السقف للأرض. يغمغمون في مشهد جماهيري ، فيمكنك سماعهم من خلال الزجاج:

"عزيزي ، ألق نظرة على هذه الطواويس!"

"بديعة ، تُستخدم في الأوشام. لقد دفعت من أجل وشم لي ، نمر على ذراعي"

"أنت تحتاج لقلب ، سأخبره أين"

رأيت كارمي يشرع في العمل للمرة الأولى بمصاحبة قريني الدائم ، نيد بين. كان يتكئ على حائط فيه قلوب وأزهار ، ينتظر ليبدأ مهمته ، يقضي كارمي الوقت نهاراً مع السيد توموللو ، وهو شخص ضئيل الحجم يرتدي سترة صوفية تتجعّد على كتفيه غير الموجودين أصلاً دون أي محاولة للهندمة أو تعديل وضعه. السترة على هيئة مربعات بنية بحجم علب السجائر ، كل مربع يحدده اللون الأسود بجرأة. يمكنك أن تلعب تك تاك تو عليه. قبعة

هناك أماكن أخرى للوشم في ميدان ميدجان ، لكن ليس إحداها كدكان كارمي. إنه شاعر حقيقي بالإبرة والصبغ ، فنان له قلب. كان الصغار ، والعاطلون بالإعانة ، والأزواج الخارجون من المدن لحسو البيرة يفرملون سياراتهم أمام دكان كارمي ، بأنوفهم على النافذة ، واحداً كان أو أكثر. أنت حلمت ، يقول كارمي ، دون أن يقول كلمة ، لديك وردة على القلب ، ونسر في العضل ، لديك يسوع الجميل ذاته ، ولهذا ادخل عندي. البس قلبك على جلدك في هذه الحياة ، أنا الإنسان الذي بإمكانه أن يريحك. الكلاب ، الذئاب ، الجياد ، والأسود: لعاشق الحيوانات. بالنسبة للسيدات: فراشات ، طيور الجنة ، وجوه الأطفال الباسمة أو الباكية ، لهن الاختيار. ورود ، من كل الأنواع ، كبيرة ، صغيرة ، براعم أو في كامل ريعانها ، وورود بأسمائها المدونة ، وورود بأشواك ، وورود برؤوس كدُمى دريسدن تبرز من مركزها الميت ، تويجات قرنفلية ، أوراق خضر ، تبدو بديعة بخط رصاصي مسود. الثعابين والتنانين لفرانكشتين. ولن نذكر البنات راعيات البقر ، ولا بنات جزر هاواي برقصة الهولا ، لا حوريات الماء ولا ملكات السينما ، بحلماتهن الياقوتية الداكنة وعاريات الصدور كما تهوى. ولو كان لديك الوقت وعدت للوراء ، هناك المسيح على الصليب ، لص على مرفقيه وجناحان فوق الرأس إلى اليمين واليسار يحملان تدويناً عليه (جبل الجلجثة)(1) بخط إنجليزي قديم ، بأصفر مكدوم يقترب من الذهبي.

وفي الخارج كانوا يشيرون إلى صور متعددة الألوان ملصقة على حوائط دكان كارمي الثلاثة ، من السقف للأرض. يغمغمون في مشهد جماهيري ، فيمكنك سماعهم من خلال الزجاج:

"عزيزي ، ألق نظرة على هذه الطواويس!"

"بديعة ، تُستخدم في الأوشام. لقد دفعت من أجل وشم لي ، نمر على ذراعي"

"أنت تحتاج لقلب ، سأخبره أين"

رأيت كارمي يشرع في العمل للمرة الأولى بمصاحبة قريني الدائم ، نيد بين. كان يتكئ على حائط فيه قلوب وأزهار ، ينتظر ليبدأ مهمته ، يقضي كارمي الوقت نهاراً مع السيد توموللو ، وهو شخص ضئيل الحجم يرتدي سترة صوفية تتجعّد على كتفيه غير الموجودين أصلاً دون أي محاولة للهندمة أو تعديل وضعه. السترة على هيئة مربعات بنية بحجم علب السجائر ، كل مربع يحدده اللون الأسود بجرأة. يمكنك أن تلعب تك تاك تو عليه. قبعة فيدورا بنية تتشبث برأسه تماماً فوق الحاجبين مثل الكاب على فطر المشروم. له وجه مثلث ، مستغرق ، نحيف ، كأنه حشرة فرس النبي البتول. وبينما كان نيد يقدمني ، انقضّ السيد توموللو من خصره في انحناءة بارعة كشاربه الصغير المعقوف على شفته العليا. لم تعجبني هذه الانحناءة لأن المكان مزدحم جداً حتى لا يوجد فراغ يقف فيه أربعتنا دون ارتطام المرفقين والركبتين لدى كل منا عند أدنى حركة.

يعبق المكان كله برائحة البارود ورائحة مظهّر مدخنة. وقد اصطفّت على طول الحائط الخلفي من اليسار إلى اليمين: منضدة كارمي للشغل ، إبر كهربية معلقة في رف على أوعية الصبغ من طراز ليزي سوزان ، وكان كرسي كارمي الدوار على حامل يواجه النافذة على المنظر ، وكرسي الزبون منتصب إزاء كرسي كارمي ، دلو نفايات ، وقفص برتقالي مغطى بقصاصات الورق وأعقاب أقلام رصاص. في مقدمة الدكان ، جنب الباب الزجاجي ، هناك كرسي آخر منتصب ، بالإعلان الكبير عن جبل الجلجثة مسنودٌ عليه ، ودرج محفوظات به بطاقات على منضدة خشبية بالية. وما بين الوِلدان وأزهار الربيع على الحائط فوق كرسي كارمي هناك صورتان فوريتان محبرتان شاحبتان لولد من أعلى صدره ، واحدة بمنظر أمامي ، واحدة من الظهر ، ومن بعيد يبدو أنه يلبس قميصاً جلدياً أسود بشرائط ، وأكمام طويلة. ويبدو من نظرة أقرب أنه عار بوضوح ، كأنه يغطيه لبلاب زاحف فحسب من الأوشام.

وفي دائرة عدائية كأنها تستحضر صورة بالروتوغراف من زمن طويل ، جلس هؤلاء الرجال والنسوة الشرقيون متربعين على أرجلهم فـــــوق



سيلفيا بلات مع زوجها تيد



سيلفيا بلات مع زوجها تيد



مخدات تزينها شرّابات ، ظهورهم إلى الكاميرا ويزخرفهم تنانين بسبعة أرؤس ، وسلاسل جبال ، أشجار كرز وشلالات مياه. "هؤلاء الناس لا يرتدون ملابس مخيطة" ، هكذا توضح دعاية الكتيب. "إنهم ينتمون لمجتمع تعدّ الأوشام فيه من طلبات العضوية. وقد تتكلف المهمة ما يزيد عن ثلاثمائة دولار". وبالإضافة لهذا ، هناك صورة لرأس رجل أصلع بأذرع أخطبوط تحيط قمة فروة الرأس من الخلف.

يقول السيد تومولّلو "هذه الرقاع الجلدية ثمينة كاللوحة ، كما أتصور. لو أخذتها وفردتها على مساحة".

لكن لا نفع لكارمي بهذا الولد الموشوم وهؤلاء الشرقيين أعضاء الجماعة ، فهو بنفسه إعلان حيّ عن فنه. مركب بشراع مفرود على بحر يمتلئ بورق نبات الإيلكس(2) فوق عضلة ذراعه الأيمن ، روزلي الغجرية تتثنى ببطنها العضلية على ذراعه اليسرى ، كما يمتلئ ساعداه بقلوب ونجوم وهلب سفن ، بأرقام حظ ومدونات أسماء ، شفرات ملطخة بصبغ النيلة ، فهو يقرأ من رقعة كوميدية كأنها تركت في عاصفة الأحد الثلجية. مروحة من الغرب الأمريكي ، ويشاع أن كارمي لديه جواد قزم مؤخرته من السرّة حتى عظم الترقوة ، وراعي بقر عنيد مشعر يلتصق على ظهره. لكن ذلك قد يكون مجرد خرافة مستلهمة من عادته في ارتداء أحذية رعاة البقر الجلدية الجاهزة ، بكعب ملائم ، وحزام من طراز بيل هايكوك مزرر بأحجار حمراء تربط دلاّياته القطنية السوداء. عيون كارمي زرقاء. زرقاء بلا أدنى درجة عن التغني الكثير بسماوات تكساس.


سيلفيا بلاث

يقول كارمي "كنت فيها منذ ستة عشر عاماً" ، وهو يسند ظهره إلى حائطه المزخرف بالصور ، "ويمكنك أن تقول إني لا أزال أتعلم. أول وظيفة لي كانت في مين ، أثناء الحرب. سمعوا أني وشّام واستدعوني إلى هذا المركز ، كان به فيلق عسكري نسائي".

سألته "كيف توشمهن ؟"

"كنت أوشم الأرقام عليهن ، لا أقل ولا أكثر".

"ألم تخف بعضهن ؟"

"آه ، طبعاً ، طبعاً. لكن بعضهن عدن. حاولت مع فيلقين ذات يوم من أجل وشم واحد. همهمن كثيراً. وراوغن. أخبرتهن "انظرن ، لقد جئتن منذ أيام وعرفتن أيها تردن ، فما المشكلة ؟"

شرعت إحداهن في الكلام "حسناً ، ليست المشكلة فيما نريد بل أين نريد". قلت "لو كان هذا كل شيء فيمكنكن أن تثقن بي. مثل الطبيب أنا ، هه ؟ فقد تعاملت مع نسوة كثيرات حتى لم تعد هذه مشكلة". قالت واحدة "أريد ثلاث ورود ، وردة على معدتي ، ووردة على كل جانب من منكبيّ". وبهذا تشجعت أخرى ، تعرفون كيف تم هذا ، وطلبت وردة..."

"ورد صغير أم كبير ؟" ، لم يدع السيد تومولّلو أي تفصيل يفوته.



"مثل تلك العليا هناك" ، وأشار كارمي إلى بطاقة ورد على الحائط ، كل زهرة بحجم الكرنب الملفوف. "الأكبر هي السائدة. اشتغلت الورود وأخبرتهن: (السعر بعشرة دولارات إن عدتن وأبنتن لي متى راحت قشرة الجرح)".

"وهل جئن ؟" ، أراد نيد أن يعرف.

"يمكنك أن تثق بأنهن فعلنها". نفخ كارمي حلقة دخان ظلت معلقة تحلق في الهواء على بعد قدم من أنفه ، نحو الحدود الزرقاء الضبابية لزهرة الكرنب.

يقول "تريد أن تعرف ، قانون مجنون ؟ يمكنني أن أوشمك في أي مكان" ، وكان يتفحصني بعناية كبيرة ، "أي مكان على الإطلاق. ظهرك. مؤخرتك". وتدلى حاجباه ، حتة لتعتقد أنه يصلي. "صدرك. أي مكان على الإطلاق عدا وجهك ، ويديك ، وقدميك".

يسأل السيد تومولّلو: "هل هو قانون اتحادي ؟"





يومئ كارمي "قانون اتحادي. كان عندي أعمى" ، وأبرز إبهامه ناحية ستارة مضلعة متربة مسحوبة على النافذة البادية. "وجعلت الأعمى يركع ، واشتغلت بشكل مخصوص على أي جزء من الجسم. عدا الوجه ، اليدين ، والقدمين".

أقول "أراهن بأنهم يستعرضون"..

"طبعاً. خذ الجيش مثلاً ، في الحفر. لا ينظر الأولاد مباشرة. تظهر وجوههم وأيديهم ، فلا يستطيعون سترها".

يقول السيد تومولُّو "قد يكون ذلك صحيحاً ، أظن أنه قانون صادم ، قانون استبدادي. لابد أن تكون هناك حرية بشأن الزينة الشخصية في أي بلد ديمقراطي. أقصد ، لو أرادت سيدة وردة على ظهر يدها ، فأظن..."

يكمل كارمي بحرارة "أنها لابد أن تعملها. يجب أن يحصل الناس على ما يريدون ، بغض النظر عن أي شيء. لهذا ، كانت عندي امرأة صغيرة هنا منذ بضعة أيام" ، يحدد كارمي الهواء براحة يده فيما لا يزيد عن خمس أقدام. "عالياً جداً. أرادت كالفاري ، كل العمل ، على ظهرها ، وقد شغلته لها. أخذ مني ثماني عشرة ساعة"

حدقت في اللصوص والملائكة على ملصق جبل الجلجثة ببعض من الشك. "ألم يكن ضروريا أن تقلص من المشهد قليلا؟"

يتساءل نيد "أو تنزع ملاكاً؟ أو جزءاً من طليعة المشهد؟"

"ولا أي جزء منه. عمل بخمسة وثلاثين دولاراً بالألوان الكاملة ، اللصوص ، والملائكة ، والإنجليزي القديم ـ العمل كله. خرجت من الدكان وهي فخورة كالسَكرَى. لا تشغل كل امرأة صغيرة مشهد الجلجثة كله على ظهرها. آه ، لقد طبعت صوراً جلبها الناس ، طبعت نجوم سينما. أي شيء يريدونه ، أفعله. لدي بعض التصميمات لم أرسمها على الحائط حتى لا أضايق بعض الزبائن. وسأريك". يفتح كارمي درج المحفوظات على المنضدة في مقدمة الدكان. يقول "سترتب ذلك الزوجة ، فوضى فظيعة"

أسأل باهتمام "هل تساعدك الزوجة؟"

"آه ، لورا ، فهي في الدكان معظم النهار". ولسبب ما يبدو كارمي على الفور مهيباً مثل كاهن يوم الأحد. وأتساءل ، هل يستخدمها للإغـواء: لورا ، المرأة الموشومة ، قطعة فن أصلية حية ، صنعها في ستة عشر عاماً. ولا رقعة عليها بيضاء ، سيداتي سادتي ـ انظروا ، هنا كل ما ترغبون. "لابد أن تقومي بزيارتها وتستمتعي بصحبتها ، فهي تحب الكلام". كان ينقّب في الدرج ، ولا يُخرج شيئاً ، حتى توقف عن بحثه وتجمد ككلب الصيد.

هذا الرجل الضخم يقف في المدخل.

"أي خدمة؟" ، يخطو كارمي أماماً ، وكأنه مايسترو العزف.

"أريد ذلك النسر الذي أريتنيه"

أفسح نيد والسيد تومولُّو وأنا بأنفسنا نحو الحوائط الجانبية ليدخل الرجل إلى وسط الحجرة. سيكون بحّاراً خرج بزيه ، سترة بلون البسلة وقميص صوفي مربعات. رأسه بحجم الماسة ، منفسحة ما بين الأذنين ، تستدق إلى نجد ضيق مزروع بالشعر الأسود.

"ذو التسعة دولارات أم الخمسة عشر؟"

"بخمسة عشر"

تنهد السيد تومولُّو بإعجاب مهذب.

يجلس البحار في الكرسي إزاء كرسي كارمي الدوار ، لا مبالياً في سترته ، فكّ إسورة قميصه اليسرى وبدأ في بطء رفع كمه.

يقول لي كارمي بصوت خفيض واعد "لقد جئت مباشرة هنا ، بإمكانك أن تلقي نظرة فاحصة. فأنتِ لم تري أي توشيم من قبل". تقوستُ وثبّتُ نفسي على صندوق مغطى بالورق في ركن على يسار كرسي كارمي ، حذرة كدجاجة فوق بيض.

نقّب كارمي في درج المحفوظات ثانية فاستخرج هذه المرة قطعة مربعة من البلاستيك. "هذه؟"

نظر البحار إلى النسر البارز على البلاستيك. ثم قال: "آه" ، وأعاده ثانية إلى كارمي.

تذمر السيد تومولُّو "هم م م" في فزع من ذوق البحار.

يقول نيد "نسر رائع".

اعتدل البحار بفخر مؤكد. يرقص كارمي من حوله الآن ، وهو يضع قماشة من الخيش الأسود المبقع على حِجره ، ويرتب إسفنجة ، وموسَى ، وبرطمانات متنوعة عليها بطاقات ملطخة ، ووعاء به مطهّـر

على منضدة عمله .وغارقاً في مهامه مثل قسّ يشحذ مدينته على جِلدة عِجل سميكة. كل شيء صار جاهزاً. يجلس أخيراً. قدم البحار ذراعه اليسرى بينما يقترب نيد والسيد توموللو خلف كرسيه ، كان نيد يميل من فوق كتف البحار اليمنى والسيد توموللو فوق اليسرى. ولدى مرفق كارمي حصلت على أفضل رؤية من الجميع.

بضربة موسى عنيفة وسريعة وقريبة ، نظّف كارمي ساعد البحار من الشَعر الأسود النابت ، مسح الشعر وهو ينزعه عن حافة الشفرة ثم إلى الأرض بإبهامه. دهن منطقة اللحم العاري بالفازلين من برطمان صغير على رأس منضدته "هل توشمت من قبل ؟"

"آه" ، ولم ينبس البحار. "مرة" ، وكانت عيناه بالفعل محبوستين على منظر شيء بأبعد جانب من رأس كارمي ، عبر الحوائط وبعيداً في الهواء القليل ما وراء أربعتنا في الغرفة.

رشّ كارمي مسحوقاً أسود على وجه المربع البلاستيكي ثم دعك المسحوق في الحفر الناتئة. فاسودّت حواف النسر. بنقرة واحدة ، يضغط كارمي المربع البلاستيكي من جانب المسحوق على ذراع البحار المليئة بالشحم. وحينما نزع البلاستيك ، بسهولة وكأنه قشرة بصلة ، ظهرت حدود النسر ، بأجنحته المفروشة ، ومخالبه المعقوفة ارتقاباً لشيء ، فوق ذراع البحار.

"آه" ، اندفع السيد توموللو للوراء على كعبيه الهشين وألمح لمعنىً بدا في عيني نيد. رفع نيد حاجبيه موافقاً. سمح لنفسه البحار بالتواء حاد من الشفة. ظهر عليه ذلك كالابتسام.

"الآن" ، وتناول كارمي إحدى الإبر الكهربية ، أخرجها كالأرنب من القبعة "لسوف أريك كيف أجعل من نسر بتسعة دولارات نسراً بخمسة عشر دولاراً"

يضغط زراً على الإبرة. فلا يحدث شيء.

"حسناً" ، يتنهد "إنها لا تعمل"

يتأوه السيد توموللو. "ألا تجرّب أخرى ؟"

ثم حدث شيء صدم كارمي فضحك وهو يضغط مفتاحاً على الحائط من خلفه. وهذه المرة حين ضغط الإبرة أزّت فومضت بالأزرق.

"ليست هناك علاقة ، هكذا ينبغي أن تكون" ، يقول السيد توموللو "شكراً للسماء" .

يملأ كارمي الإبرة من إناء به صبغ أسود من طراز ليزي سوزان. "هذا النسر" ، يخفض كارمي الإبرة إلى أعلى نقطة في الجناح الأيمن للنسر ، "بالنسبة للتسعة دولارات يكون أسود وأحمر فقط. أما للخمسة عشر دولاراً فسوف ترى خليطاً من أربعة ألوان" ، وتدور الإبرة على الخطوط المحددة بالمسحوق. "أسود ، أخضر ، بني ، وأحمر. سوف نتخلص من الأزرق في هذه اللحظة وإلا سيصبح خمسة ألوان". تثب الإبرة وترتد كحفّار الضغط لكن يد كارمي ثابتة كيد الجرّاح. "لكم أحب النسور!"

يقول السيد توموللو "أعتقد إنك تعيش على نسور العم سام"

ينز الحبر الأسود على انحناءة ذراع البحار ثم إلى قماشة قصّاب مبقعة مجلدة تغطي حجره ، لكن الإبرة تمضي ، ملونة ريش الجناح من أعلى لأسفل. كريات لامعة من الأحمر ترتفع في الحبر ، فقاعات بلون دم القلب تظهر في الجدول الأسود.

يهمهم كارمي برتابة "يشتكي الأولاد ، أسبوعاً بعد أسبوع ، لديّ الشكوى نفسها: ماذا من جديد عندك؟ لا نريد النوع ذاته من النسور ، الأحمر والأسود. لهذا اخترعت هذا الخليط. انتظر يا هذا. نسر مصمت ملون"

فقد النسر نفسه في غمامة عاصفة من الحبر الأسود تنفرش. يتوقف كارمي ، يُخوّض إبرته في وعاء المطهّر ، ثم في حُمّة من الورد الأبيض وإلى السطح من قاع الإناء. ثم يحفر كارمي بإسفنجة مدورة كبيرة لون القرفة في الوعاء بعدها يمسح الحبر من ذراع البحار. ينبعث النسر من غمامة حبره المُدمّى ، خط مرفوع على الجِلد العاري.

"سترون الآن شيئاً". أدار كارمي صبغ ليزي سوزان حتى بدا الوعاء أخضر تحت إبهامه ثم التقط إبرة أخرى من الرفّ.

غاب البحار بعينيه الآن ، في مكان آخر ، التبت ، أوغندا ، بربادوس(3) ، المحيطات والقارات بعيداً عن النقاط الدموية التي تقفز إثر المساحات الخضراء الواسعة التي يرسمها كارمي في ظل جناحي النسر.









هذه اللحظة أخطط في حمق لزيارة حميمة إلى لورا في دكان كارمي. أتخيل لورا لدنة طرية، وفراشة تستعد للطيران على كل ثدي، والورد مزدهر على ردفيها، وتنين حارس ذهبي على ظهرها والسندباد البحري برحلته في ست ساعات على بطنها، امرأة بكل الخبرة مسطّرة عليها، امرأة نتعلم منها في هذه الدنيا. سأعرف منها أفضل.

في هذا الوقت لاحظت إحساساً غريباً. عطر لذيذ قوي يهب من ذراع البحار. تنحرف عيناي عن الأحمر المخلوط بالأخضر وأجد نفسي أحدق منتبهاً في دلو النفايات على جانبي الأيسر. وبينما أشاهد قصاصات مهملة من أغلفة متبلّرة ملونة، أعقاب سجائر، ولفائف قديمة من مناديل ورقية مبقعة بالطين، كان كارمي يطرح منديلاً منقوعاً بالأحمر الزاهي على الكومة. وراء رأسَيْ نيد والسيد توموللو بظليهما، هناك النمور، الـــورد، النسوة حمراء الحلمات الغامزات والعصبيات. ولو ألقيت نفسي للأمام أو يميناً، سأهز مرفق كارمي وأجعله يطعن البحار وأفسد بذلك نسراً جميل الصنع بخمسة عشر دولاراً حتى لا أتذكر عار جنسي. البديل الوحيد هو الغطس في دلو الأوراق المدماة.

"سأشغّل البنيّ الآن"، يتغنى كارمي من بعيد، وأثبّت عينيّ مرة أخرى على ذراع البحار بالأحمر اللامع. "حين يلتئم النسر، ستختلط الألوان مباشرة في بعضها البعض، تماماً كاللوحة"

كان وجه نيد مضروباً بحبر هندي أسود على خطوط مجنونة من سبعة ألوان.

"سوف..." تحركت شفتاي، لكن لم يخرج أي صوت.

مشى نيد ناحيتي لكن قبل أن يصل هناك أظلمت الحجرة كأن النور انطفأ.

وتالياً، كنت أنظر في دكان كارمي عبر غمامة بعيني ملاك تشعان بأشعة إكس وأسمع صوتاً واهناً لنحلة تشق ناراً زرقاء.

"جاء بها دم؟"، كان صوت كارمي، ضعيفاً وشارداً.

يقول السيد توموللو "تبدو بيضاء كلها. وعيناها غريبتان"

مرر كارمي شيئاً للسيد توموللو. "دعها تشم هذا". سلّم السيد توموللو شيئاً لنيد. "لكن ليس كثيراً"

قرّب نيد شيئاً إلى أنفي.

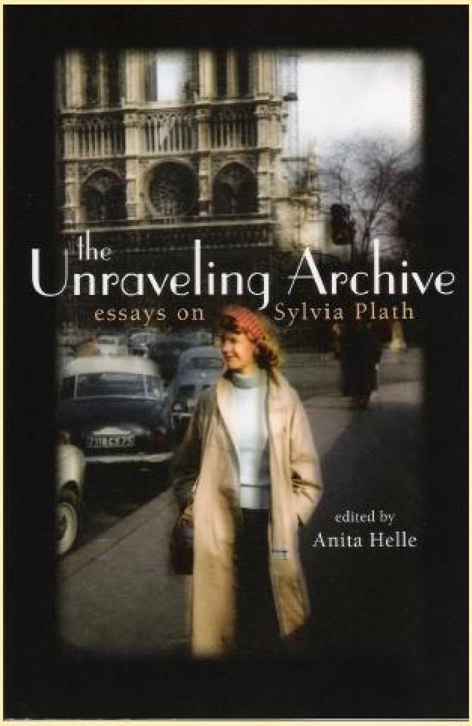
أستنشق، وكنت أجلس في كرسي بمقدمة الدكان مع جبل الجلجثة كسنادة خلفية. أستنشق مرة أخرى. لا يبدو أحد غاضباً فلم أزح إبرة كارمي. أما نيد فيسدّ الغطاء على دورق صغير من السائل الأصفر. نشادر ياردلي.

"مستعدة للعودة؟"، يشير السيد توموللو برقة إلى قفص برتقالي مهجور.

"تقريباً". لدي رغبة قوية في التوقف فترة. همست في أذن السيد توموللو القريبة مني، فقد كان قصيراً للغاية. "هل عندك أوشام؟"

تحت حافة قبعته الفيدورا كفطر المشروم، كانت عينا السيد توموللو تدوران نحو السماء.

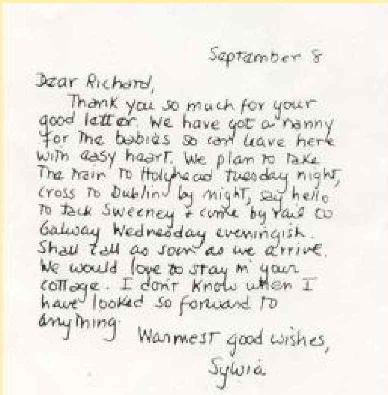
"لحسن الحظ لا! فأنا هنا فقط لأرى الزنبركات. للزنبركات في آلة كارميشيل طريقة في الانفجار بخصر الزبون"..



"كم يؤلم هذا"..
"ذلك سبب بقائي هنا. فنحن نجرّب زنبركاً جديداً الآن، أثقل بكثير. تعرفين كم هو مزعج حين تكونين في كرسي الأسنان وفمك محشو بأخلاط من الأشياء..."
"كرات من القطن وشوكات معدنية صغيرة...؟"
"بالضبط. ووسط هذا يتركك طبيب الأسنان". يدير السيد توموللو ظهره نصف دورة للتوضيح بوجه مكتوم شرير، "ثم ينتحي إلى الركن عشر دقائق بسبب الآلة، لا تعرفين لماذا". ينعم وجه السيد توموللو مثل القماشة تحت مكواة البخار. "ذلك سبب بقائي هنا لأستكشف، زنبرك أقوى. زنبرك لا يطرح الزبون أرضاً".
عند هذه اللحظة كنت مستعدة للعودة إلى مقعد تشريفتي على القفص البرتقالي. كان كارمي قد انتهى تواً من البنيّ وفي غيابي اختلطت الأحبار فعلاً في بعضها البعض. وعلى الجلد الحليق، بدا النسر الجريح منتفخاً في ضراوة ثلاثية اللون، والمخالب تنثني حادة مثل خطاطيف القصاب.
"أعتقد أنه يمكننا جعل العين حمراء أكثر قليلاً؟"
يومئ البحار، ويفتح كارمي سدادة وعاء صبغ لون صلصة الطماطم. ومجرد أن يكف عن العمل بالإبرة، يطفح جلد البحار بفقاقيعه الدموية، ليس من التحديد الأسود للطائر في ذلك الحين، بل من جسمه المحبب كله، بقوس قزحه.
يقول كارمي "الأحمر، في الواقع يمتص الأشياء"
يسأله السيد توموللو فجأة "هل ستوفر الدم؟"
يقول نيد "أظن، لا بدّ أن تعمل بعض الترتيبات بخصوص الصليب الأحمر"
"مع بنك الدم!"، كان هبوب النشادر على رأسي يجعلها صافية كيوم سماوي على مونا دنوك. "ضع حوضاً صغيراً على الأرض ليلقط التنقيط"
أبان كارمي عيناً حمراء على النسر.
"نحن الهامات(4) لا نتشاطر في دمنا"، عين النسر تحمرُّ لكن لم يعد هناك دم دالّ من الحبر. "ألم تسمع مرة عن هامة تفعل هذا؟"..
يعترف السيد توموللو "لا لا..."

يُشبع كارمي اللحم خلف النسر بالأحمر فيرفرف النسر المكتمل على سماء حمراء، لقد ولد وتعمّد في دم صاحبه.
ينجرف البحار عائداً من مناطقه المجهولة.
"لطيف؟"، بشفرته ينظف كارمي النسر من الدم الذي يحجب ألوانه بطريقة فنان الشوارع الذي ينفخ غبار ألوانه الباستيل عن رسم للبيت الأبيض، اليزابيث تايلور، أو ليزي العائدة.
يعلّق البحار غير محدد لمن على الإطلاق "أقول دائماً، حين تنقش وشماً خذ الأفضل. لا شيء سوى الأفضل". وينظر إلى النسر الذي بدا ظاهراً رغماً عن كارمي الذي يرتقب شيئاً غير المال. "كم يكلف أن أكتب تحته اليابان؟"
ينفجر كارمي ببسمة سعيدة. "دولار واحد"
"إذن، اكتب Japan"
يحدد كارمي الحروف على ذراع البحار، ازدهار إضافي لهلب (J)، وعروة (P)، و(n) الختامية، حرف عاشق لنسر شرقيّ غازٍ. ويملأ الإبرة ثم يبدأ حرف(J).
"أفهم هذا"، يبين السيد توموللو بصوته الرائق كالمحاضر "اليابان مركز الوشم"
يقول البحار "لم تكن هكذا وأنا هناك. كان محظوراً"
يقول نيد "محظور! لماذا؟"
"أوه، يعتقدون أنه شيء همجي هذه الأيام". لم يرفع كارمي عينيه عن (a) الثانية، وتستجيب الإبرة كفرس ذلول تحت إبهامه المدرب.
"هناك بارعون، طبعاً. سراً. هكذا الأمور دائماً". ويقوم باللفة الأخيرة على (n) ثم يمسح دفقات الدم التي يبدو أنها مالت على خطوطه الفنية المبهمة. "ذلك ما تريد؟"
"بالضبط".
يطوي كارمي لفة مناديل الورق بشكل ضمادة بدائية ويضعها على النسر واليابان. ورشيقاً كبائعة تلف الهدايا في محل، كان يثبت المنديل بمكانه.
نهض البحار ثم ارتدى في حمية سترته لون البسلة. هناك تلاميذ طوال مهازيل بوجوه شاحبة عليها نمش، ازدحموا في المدخل، يراقبون. ومن دون كلمة أخرج البحار محفظته ونزع أوراقاً نقدية بستة




September 8

Dear Richard,
Thank you so much for your good letter. We have got a nanny for the babies so can leave here with easy heart. We plan to take the train to Holyhead Tuesday night, cross to Dublin by night, say hello to Jack Sweeney & come by rail to Galway Wednesday eveningish. Shall call as soon as we arrive. We would love to stay in your cottage. I don't know when I have looked so forward to anything.
Warmest good wishes,
Sylvia







عشر دولاراً من بكرة خضراء. نقل كارمي المال إلى محفظته. تراجع التلاميذ ليفسحوا للبحار كي يمر في الشارع.

"أظنكم تجدونني مشوش الذهن"

يبتسم كارمي. "لماذا تظنون أني أقرّب هذه الأملاح من يدي؟ يجيء عندي رجال يُغمى عليهم. يجيئون مدفوعين بأصحابهم إلى هنا ولا يجدون مفراً من هذا. يكون عندي ناس يُغرمون حتى آذانهم بهذا الدلو"

يقول نيد "لم يحدث لها هذا من قبل. لقد رأت أنواع الدم كلها. ولادة أطفال. مصارعات ثيران. وأشياء من قبيل هذا"

"كنتم منفعلين جميعاً". قدم لي كارمي سيجارة، فقبلتها، أخذ واحدة لنفسه، وأعطى نيد واحدة، وقال السيد توموللو لا شكراً. "كنتم كلكم منفعلين، وهذا سبب ما حدث".

"كم ثمن القلب؟"

جاء الصوت من طفل في سترة جلدية سوداء بمقدمة الدكان. نكز أصحابه بعضهم بعضاً ثم انفجروا في ضحك أجشّ، كعواء الكلاب. ابتسم الولد وتورد وجهه كله فوراً تحت نمش حبّ الشباب الأرجواني فيه. "قلب بكتابة تحته واسم على هذه الكتابة"

يستند كارمي بظهره إلى كرسيه الدوار ثم يحفر إبهاميه في حزامه. تميل السيجارة على شفته السفلى. ويقول دون أن تطرف عينه "أربعة دولارات"

"أربعة دولارات؟"، ينحرف صوت الولد وهو ينفجر ضحكاً في إنكار حاد. يهمهم ثلاثتهم فيما بينهم بالمدخل ويجرّون أقدامهم للخلف والأمام.

"لا شيء هنا بخطّ القلب تحت ثلاثة دولارات"، ولم تتحرك قبضة يد كارمي المثبتة. أنت تريد وردة، وتريد قلباً في هذه الحياة، فعليك أن تدفع الثمن. قالها من الأنف.

حام الولد أمام صورة القلوب على الحائط، قلوب زهرية مزدهرة، قلوب بسهام تخترقها، قلوب وسط أكاليل مذهبة. "كم الثمن؟" يسأل بصوت متردد حاد "لمجرد الاسم؟"

"دولار واحد"، نبرة كارمي يحددها العمل الحازم.

يرفع الولد يده اليسرى. "أريد (روث)" ويرسم خطاً متخيلاً عبر رسغه الأيسر. "هنا بالضبط... حتى يمكنني أن أغطيه بالساعة لو أردت"

قهقه صديقاه من المدخل.

يشير كارمي إلى الكرسي المنتصب ثم يضع نصف سيجارته الباقية على قنينة ليزي سوزان بين وعائي الصبغ. يجلس الولد، وتستقر كتبه المدرسية على حجره.

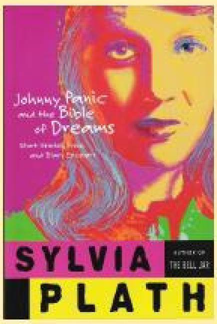
يسأل السيد توموللو عما يدور في الدنيا عموماً "ماذا يحدث لو اخترت أن تغير اسماً؟ هل تشطب عليه ثم تكتب التالي فوقه؟"

يقترح نيد "يمكنك أن تلبس ساعة على الاسم القديم حتى يظهر الجديد"

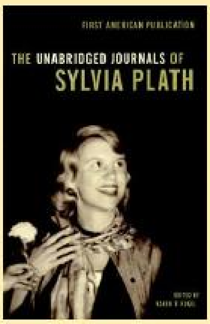
قلت "وبعدها ساعة أخرى عليه، حين يظهر اسم ثالث"

يومئ السيد توموللو "حتى يمتلئ ذراعك إلى أعلى الكتف بالساعات"

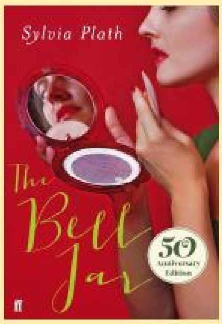
لسبب ما يبدو كارمي على الفور مهيباً مثل كاهن يوم الأحد. وأتساءل، هل يستخدمها للإغواء: لورا، المرأة الموشومة، قطعة فن أصلية حية، صنعها في ستة عشر عاماً. ولا رقعة عليها بيضاء، سيداتي سادتي. انظروا، هنا كل ما ترغبون...



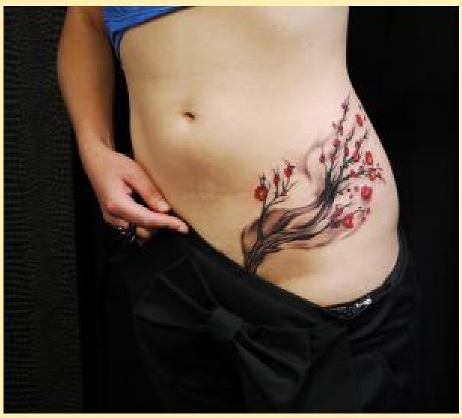


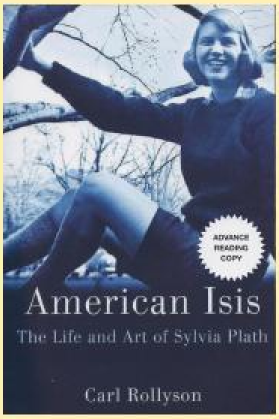



Sylvia Plath et Elizabeth Bowen, 1953



يحلق كارمي زغب الشعر النامي النحيل من رسغ الولد. "نلت حماسة دافقة من أحد ما"
يحدق الولد في رسغه بابتسامة نصف واعية بل مهزوزة ، ابتسامة قد تكون بديلاً عمومياً للدموع. يمسك بيده اليمنى كتبه المدرسية ليحفظها من الانزلاق عن ركبتيه.
ينتهي كارمي من كتابة روث على رسغ الولد ثم يمسك الإبرة متزنة. "ستصرخ منادية عليك حين ترى اسمها". لكن الولد أومأ له أن يكمل.
يسأل نيد "لماذا؟" لماذا تصرخ منادية عليه ؟"
"قم واوشم نفسك لترى!" ، يقلد كارمي حركة غثيان تمثيلي. "وبمجرد اسم! هل هذا كل ما تظنه فيّ؟ ـ قد ترغب في ورد ، طيور ، وفراشات ...". تلتصق الإبرة وهلة فيجفل الولد كالمُهر. "وإن فعلتها ضع كل هذا الهراء لتسعدها .ورود..."
يعلن السيد تومولو "وطيور وفراشات"
"ستقول هي ، كالمطر بالتأكيد في لعبة الكرة: فيم ذهابك وإنفاقك المال على مثل هذا؟" يجعل كارمي الإبرة تئز وهو ينظفها في وعاء المطهّر. "لا تستطيع أن تهزم امرأة" تقف قطرات قليلة من الدم الشحيح على طول الحروف ـ الحروف السوداء والمنبسطة حتى لا تكاد تقول إنها وشم بل مجرد حروف كتبت بالحبر. يضع كارمي ضمادة صغيرة من مناديل الورق على الاسم. لم تدم العملية أكثر من عشر دقائق.
قبض الولد على ورقة دولار مجعدة من جيبه الخلفي. قيّده صاحباه من الكتف بإعزاز وتجمع ثلاثتهم على الباب ، في الوقت نفسه ، كانوا يتواكزون ، يتدافعون ، يتعثرون على أقدامهم. وجوه عديدة ، شاحبة متلاصقة على النافذة ، ثم تلاشت مبتعدة حين مشى كارمي ببطء إليها.
"لا عجب إن كان الولد لا يريد قلباً ، فهو لا يعرف ماذا يفعل به. سيعود الأسبوع التالي طالباً اسم بيتي أو دوللي أو أياً كان ، انتظر سترى". يتنهد ثم يذهب إلى ملف المحفوظات ليخرج حزمة صور لم يضعها على الحائط ويمررها بيننا. "هناك صورة أريد أن أحصل عليها" يستند كارمي عائداً في الكرسي الدوار ثم يسند حذاءه وحتى الكاوبوي على صندوق كرتوني صغير. "الفراشة. عندي صور عن مطاردة الأرانب. وعندي صور لنساء بثعابين تلتفّ على سيقانها وفيما بين الساقين ، لكني سأحصل على الكعكة اللذيذة لو نلت صورة لفراشة على امرأة"
"هناك نوع غريب لا يريده المرء" ، ويحدق نيد باتجاه عمومي نحو بطني كمن ينظر إلى شهادة جامعية عالية قابلة للبيع.
"ليس المهم نوعها ، المهم أين. كل جناح على فخذ. أنت تعرف كيف تجعل أجنحة الفراشات على الأزهار ترفرف ، ولو طفيفاً؟ حسناً ، لدى أي حركة تقوم بها المرأة ، تبدو الأجنحة كأنها تُقبض وتُفرد. كم أود صورة لهذا بشدة لأطلق سراح الفراشة عملياً"
لهوث فترة بفكرة جنيه ذهبي جديد ، يمتد الجناحان من عظم الحرقفة إلى رأس الركبة ، أكبر عشر مرات من حجمه الطبيعي ، لكني أسقطت الفكرة سريعاً. رائع لو مللت من جلدي أسرع من فستان العام الماضي.
"يطلب عدد كبير من النساء فراشات بتلك البقعة الحميمة" ، ويواصل كارمي "لكنك تعرفين ، لا تسمح إحداهن بالتقاط الصورة بعد أداء العمل. ولا حتى من تحت الخصر. لا تتخيلي فلم أسأل. تظنّ أي امرئ في الولايات كلها قد يتعرف عليهن من الطريقة المشغولة بها حين تُذكر"
فتجرأ السيد تومولو على القول خجلاً "ألم تُكره الزوجة على ذلك؟ خلّه كأمر عائلي بسيط ؟"
قطّب وجه كارمي بشكل مؤلم. "لا لا" هز رأسه ، وثقل صوته بنبرة عجب قديم وأسى. "لا ، لورا لا تعرف ما الإبرة. تظنّ أن هذه الفكرة ستكبر عندها بعد قليل ، لكن لم يحدث شيء. وتجعلني أحس ، أحياناً ، فيم إعجابي به على الإطلاق. لورا بيضاء هناك كيوم ولدت. لماذا ، تكره الأوشام"..
هذه اللحظة أخطط في حمق لزيارة حميمة إلى لورا في دكان كارمي. أتخيل لورا لدنة طرية ، وفراشة تستعد للطيران على كل ثدي ، والورد مزدهر على ردفيها ، وتنين حارس ذهبي على ظهرها والسندباد البحري برحلته في ست ساعات على بطنها ، امرأة بكل الخبرة مسطّرة عليها ، امرأة نتعلم منها في هذه الدنيا. سأعرف منها أفضل.

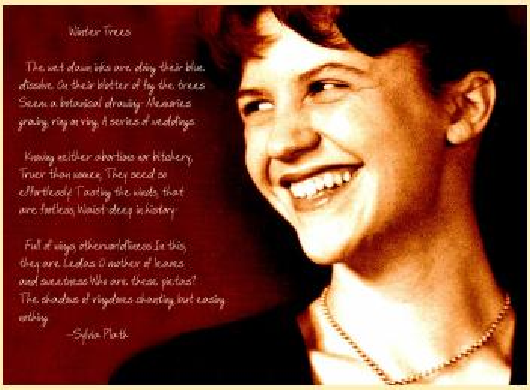









September 8
Dear Richard,
Thank you so much for your good letter. We have got a nanny for the babies so can leave here with easy heart. We plan to take the train to Holyhead Tuesday night, cross to Dublin by night, say hello to Jack Sweeney & come by rail to Galway Wednesday eveningish. Shall tell as soon as we arrive. We would love to stay in your cottage. I don't know when I have looked so forward to anything.
Warmest good wishes,
Sylvia



نسترخي نحن الأربعة هناك في غمامة من دخان السجائر ، لا ننبس بكلمة ، حينها دخلت امرأة عضلية مدورة إلى الدكان ، يتبعها عن كثب رجل بشعر مدهون على وجهه تعبير تحدٍ غامض. وكانت المرأة ملفوفة حتى ذقنها بمعطف صوفي لونه أزرق معدني ، حجاب أحمر فاقع يغطيها عدا مقدمة شعرها الأشقر اللامع المرفوعة. جلست في الكرسي أمام النافذة دون اهتمام بجبل الجلجثة واستبقت بصرها لتنظر في ثبات إلى كارمي.
ثبّت الرجل نفسه جنبها محتفظاً بعين صارمة على كارمي كذلك ، كأنه يتوقع منه الهجوم من دون تحذير.
لحظة صمت فعالة.
"لماذا" قال كارمي وهو سعيد ، لكن بقلب واجف "هذه الزوجة هناك الآن".
ألقيت نظرة ثانية إلى المرأة ، ثم نهضت من مقعدي المريح على القفص قرب مرفق كارمي. كنت أحكم من وضعه المراقب ، فحدست إما هذا الغريب أخو لورا أو حارسها أو مخبر خاص من الدرج العاشرة في خدمتها. تحرك السيد توموللو ونيد في توافق نحو الباب. هممت "حان أن ننصرف" ، حينما لم ينزع أي امرئ نحو الكلام.
"رحبي بالناس ، يا لورا" ، رجاها كارمي ، وظهره للحائط. لم أشعر نحوه سوى بالأسف ، وحتى بالخجل قليلاً. اختفت تلك اللحظة عن كارمي الرسميات ، والكلام المرح.
لم تنبس لورا ببنت شفة. تنتظر بهدوء بقرة طويل حتى ينصرف ثلاثتنا. أتخيل جسمها ، بيضاء كزنابق الموت وجرداء تماماً - جسد امرأة منيع كراهبة بغضب النسر ، ورغبة الوردة. ومن حائط كارمي كان معرض وحوش العالم ينبح وهو يسدد لها وحدها نظرات الهُيام.

هوامش:

1) الجلجثة: محلّ خارج القدس القديمة ، صُلب عليه السيد المسيح. (م)
2) الإيلكس: نبات ورقه لامع شائك الأطراف وزهره صغير يميل للبياض. (م)
3) بربادوس: من جزر الهند الغربية ، تابعة لدول الكومنولث البريطاني. (م)
4) الهامة: ماصة الدماء. (م)

(*) شاعر ومترجم مصري







حانة الجنة في الأرض



عبد اللطيف الإدريسي (*)

مقام الصبر..

تأملتها طويلا وهي تتسلّق تلك العقبة ممتطية ظهر بغلتها في طريقها نحو السوق البراني. غير مبالية لا بالمندوبية وفنائها الرحب ولا بكنيسة الإنجليز وقبتها الجميلة، ولا بالصياغين الذين لم يبق منهم إلا ذلك الزقاق الضيق الذي يشهد على عصر حفظته البطاقات البريدية التي تملأ واجهات البزارات. ذكرني ذلك بزيارة غليوم الثاني الإمبراطور للمدينة.. غابت أمّي وسط تلك الكتلة البشرية وبرزت عويشة وهي تحمل سطلها وقد وضعت مُسكته وسط مرفق يدها اليمنى وألقت بأطراف جلبابها على كتفها الأيسر واحتزمت بشريط من القنب الغليظ. استمرت في تأمّلي كأن المشهد هو هو..

مشات مْرا وجات مْرا..

عويشة.. كلتوم.. أين كنت؟ ولماذا الآن؟

شعرها آتّ شديد البياض، عيناها تبرقان كعيني أمّ صخر، عينان متبلّدتان تبلّد الصبح، يرقد من ورائهما نوم الزمان والمكان منذ عهد عاد.. استعارتها كلتوم، كنايتها لا شبه بينها وبين الكلثوم. نحيفة، هزيلة، كانت تشتغل كمومس في حانة الجنة في الأرض. حانة صغيرة في وسط المدينة الجديدة.. حانة وجوه المجتمع، ذوي الشأن، ذئاب أصابها الأمه، أمه الأمخاخ: محامون، قضاة، بنكيون، مخدرون، شرطيون، سياسيون، سبّابو العراقيب، أخسّة آفكون، أولائك الذين يلتهمون سرّة المدينة وجوانبها.

الجنّة في الأرض، حانة كنت قد ورثتها عن السيد وليام الإنجليزي الإسباني الأصل المختص في علم الطيور، كان قد أقام في المنطقة منذ عهد الحماية ليراقب الطيور المتعددة والمتنوعة وذلك قصد دراستها وقت سفادها وتوالدها وقطاعها. ظلّ هكذا يهتم بطيوره ما يقل أو يزيد بقليل عن ربع قرن. وكان يقضّي وقته أثناء هجرة الطيور إلى الشمال يدرس طيور المدينة الجديدة من غلمان وولدان مخلّدين. وفي ليلة التقى بأحد تلك الطيور النادرة، العزيزة، وحيد عصره، خفّاش المدينة؛ كان يطير كل ليلة يطوح أرجاء المدينة يمينا وشمالا، طولا وعرضا باحثا عن خبز بارد، خبز آدم، ذلك الخبز الذي تطلبه الجدّات في دعائهن بعد كلّ صلاة وقبل كلّ وجبة. لقد كان السيد وليام قد وصل من العمر عتيا عندما التقيت به أول مرّة. كنت قد هجرت أمّي وإخوتي تاركا قريتي باحثا عن عمل. كم حذّرتني أمّي الجبلية من المدينة الجديدة.. من أنوارها.. من رجالها ونسائها.. هي التي لم تزر هذه المدينة إلا ثلاث مرات في حياتها، أول مرّة عندما استدعيت للتعرّف على جثة زوجها؛ ومرّة ثانية عندما رافقت أختي الكبرى لزيارة لالا جميلة الموجودة قرب سيدي بوقنادل لعل وعسى أن ترزق بمولود، ببركة هذه السيدة الجليلة التي اتخذت مقرّا لها صخرة كبيرة يتوسطها ثقب كبير وقد أخذ شكل باب مستدير نحته ريح الشرقي والأمواج. طافت أمّي وابنتها بالمكان سبع مرّات متحديتين الأمـــواج

وريح الشرقي. وبعد سنوات من ذلك رزقت أختي بتوأمين ، لكن من زوج آخر ، لأن الزوج الأول طلقها من دون أن يخلّفا أولادا ، وذلك بعد محاولة دامت أكثر من خمس سنوات. طلقها لأنها عاقر وتزوج من بنت من قرية مجاورة طلقها لأنها لم تسعده بمولود. كانت هي الأخرى عاقرا. كان عليه أن يزور لالا جميلة. هو العاقرة. والمرّة الثالثة عندما ألحت أختي في إرسالها إلى المدينة لإجراء فحص طبي على يد طبيب مختص. وشاءت الأقدار أن تقابلني من دون أن تتعرّف علي رغم أن غريزتها ساقتها إلى التعرف على رائحة بولي. أخذت منها هذه المدينة كلّ رجالها.. كما أخذت من صنعاء نساؤها..

التقيا.. عالم الطيور وطيره النادر. وقع بيني وبين السيد وليام لوط.. أهدى كل منا ليطه للآخر.. استجاب السيد وليام لدعاء الجدات فأوصى لي كتابة وعدلا بحانة الجنة في الأرض التي اشتراها ، بعدما تقعّد عن العمل ، من يهودي ابن المدينة كان هو الآخر يعشق الغلمان ، وحوّلها إلى مقرّ للواط يعمّره الهرمى من الإنجليز وغيرهم من المصابين بكل أنواع الشذوذ الجنسي القادمين من بلاد الإنجليز ومن جبل طارق وقادس ومالقة والرندة وأماكن أخرى ، وأبناء المدينة والوافدين عليها من شباب البوادي والقرى المجاورة من العرب والبرابرة والسود الفارين من القحط والفقر والجوع والعطش باحثين عن لقمة عيش حلال..

الله يعطينا خبزة باردة.. ما عجنوها بدين.

بِتّ وأصبحت صاحبا لحانة الجنّة في الأرض.. لم يعلمني أبي أن الربح السريع عواقبه وخيمة.. أصبحت من أعيان المدينة.. أتاجر في اللحم والشحم والعظم.. والشاي والسكر والنعناع.. في كلّ شيء.. في بني آدم.. في السيارات.. في المخدرات.. في المسكنات.. في قوارب الموت.. زبائني شدّان هربوا من مكة ، هرمون من بقايا الغرب وشظاياه ، أغنياء جدد يعصرون الأموال من الحشائش.. رجال أمن لا أمان فيهم.. وسود يحاولون أن "يحرقوا" هروبا من بشرتهم التي حرقتها الشمس والجوع نحو أمل لن يتحقق..

... الجنّة في الأرض ، حانة كنت قد ورثتها عن السيد وليام الإنجليزي الإسباني الأصل المختص في علم الطيور ، كان قد أقام في المنطقة منذ عهد الحماية ليراقب الطيور المتعددة والمتنوعة وذلك قصد دراستها وقت سفادها وتوالدها...



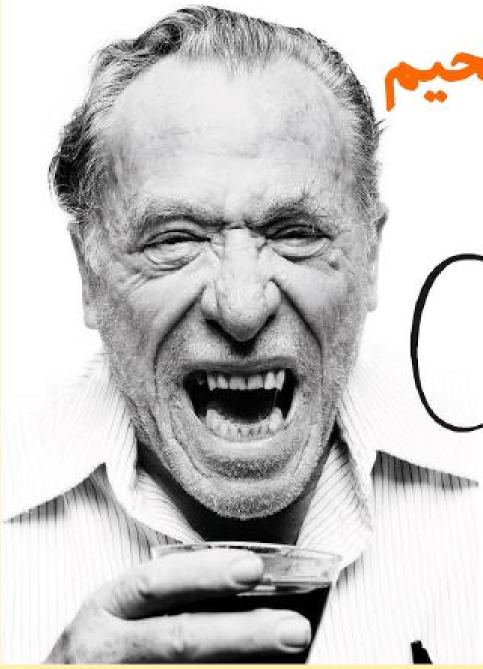
(*) كاتب وباحث مغربي مقيم في فرنسا



للخمر أصول وجذور متأصلة في القدم. فأقدم البقايا الأثرية التي تم العثور عليها ، أظهرت أن أولى الكروم نمت قبل حوالي 6000 سنة قبل الميلاد في القوقاز بالقرب من الحدود الحالية لتركيا وجورجيا وأرمينيا. إن زراعة الكرمة قديمة قدم زراعة الحبوب ، تزامنت مع ظهور وإقامة الإنسان على سطح الأرض.

في مصر تم العثور على أقدم الأنشطة المتصلة بإنتاج النبيذ: فن اختيار وزراعة الكرمة لتحسين نوعية وكمية الأسباب التي ينتجها. وفي مصر ، أيضا ، تم اكتشاف اللغة الهيروغليفية القديمة التي يعود تاريخها إلى 3200 سنة قبل عصرنا ، والتي كانت تمثل حصص إنتاج الكروم. واتضح من خلال رسوم الجداريات ، التي تم العثور عليها في غرف الدفن بالأقصر ، أن أول إله للخمر كان هو أوزيريس الذي كان في الوقت نفسه إله الغطاء النباتي والحياة بعد الموت. وكان المصريون القدامى يسمون الخمر ، في بعض الأحيان ، "عرق رَعْ" إله الشمس...

تشارلز بوكوفسكي: كلب من الجحيم







إسكندر حبش (*)

"الحب كلب من الجحيم" عنوان المختارات الشعرية للشاعر الأميركي تشارلز بوكوفسكي التي يقدمها بالعربية سامر أبو هواش، الصادرة حديثا في نشر مشترك بين «كلمة» في الإمارات ومنشورات «الجمل». والمختارات هذه تحمل عنوان إحدى مجموعات بوكوفسكي التي كانت صدرت في العام 1977. حول الشاعر، الذي لم يعد غريبا عن المكتبة العربية، هذه المقالة.

"أكتب لا لأنقذ البشرية وإنما لأنقذ نفسي". هذا ما كان يردده الشاعر الأميركي تشارلز بوكوفسكي، حول السؤال الدائم، الذي غالبا ما يلاحق به الكتاب. لكن ربما كان علينا أن نضيف سؤالا آخر: من ماذا؟ والجواب الأقرب الذي يبدو صالحا: ربما من الحياة نفسها. لذلك التجأ إلى الكحول، عدوه اللدود، لكنها كانت أيضا "النبع الذي غرف منه وحيه"، فعلى الرغم من أمراضه الكثيرة لم يتوقف لا عن التدخين ولا عن الشراب، ليستمر في هذه الرحلة حتى نهايتها، ليغيب في العام 1994 عن عمر يناهز الثالثة والسبعين، بسبب سرطان الدم، ليجد يومها، مأوى أخيرا، وهو الذي تشرد طويلا في شوارع الولايات المتحدة وبعد أن نام على أرصفتها وبعد أن أزهق نصف عمره بين حاناتها وخماراتها الخلفية بين "سيقان العاهرات السمينات"، إذ لم يجد يوما من يحبه ومن أحبه.

تشارلز بوكوفسكي الشاعر "المجنون"، وشاعر المجون أيضا. شاعر الأحياء الفقيرة والمهمشين والهامشيين، شاعر العبارة الصارمة والصادمة وشاعر القلب الإنساني المعذب المدافع عن حقه في الحياة. يمكننا أن نضيف أيضا ما قاله يوما أحد النقاد عنه: "استمر بوكوفسكي، عبر حياته الخاصة، كما لو كنا أمام فصل من كتب ديفيد غوديز أو أمام مشهد من حكايات هوارد هوكس، فهو دائما متبرم وسكران وكئيب ومتهكم وساخر كأنه يمشي متثاقلا في الجنة".

"متثاقلا في الجنة"، ربما تصلح هذه العبارة اليوم لنصف حياة صاحب كتاب "حكايات الجنون العادي" و"مذكرات مقرف عجوز"، إذ كان تشارلز بوكوفسكي أو "هانك" (وحتى باك) _مثلما كان يسميه أصدقاؤه_ بوجهه المجدور، الأحمر من شدة الكحول، المتكلم بفظاظة وجلف، كان يجسد "ذيل" الأدب الأميركي. قال عنه النقاد إنه قريب من جاك كرواك ووليام بوروز أو حتى ألن غينسبيرغ _الذين كانوا قادة "جيل البيت"_ لكنه بدلا من أن يحرث في أرض "المخدرات الخفيفة" أو في "روحانية الزن" فضّل بوكوفسكي أن "يصوب" طلقاته على "علب تنك" البيرة مثل أولئك "الزعران" الذين يدورون في أرجاء أميركا فوق دراجاتهم النارية.

بشكل أو بآخر كان بوكوفسكي أحد آخر رعاة البقر في هذه الأميركا المجنونة. كان رمزا صاحبا لهذه الإدارة، وإن كان يصل أحيانا إلى

حدود الكاريكاتورية ، إذ كان يجيد أدوار السكيرين والمهرجين حين يتطلب منه دور الحياة القيام بذلك. لكنه بقي دائما على هذه الحالة. هل الحياة لا تستحق منا أن نعي ماذا يحصل ؟

تشارلز بوكوفسكي ، ذلك الفظ التي تصل فظاظته في كثير من الأحيان إلى حد الوقاحة. وقاحة علنية غالب الوقت. من ينسى مثلا في العام 1978 ما حصل خلال إحدى حلقات البرنامج الثقافي الفرنسي الشهير «أبوستروف» الذي كان يقدمه برنار بيفو. كان بوكوفسكي قد صمم أن "يغرس وجوده" في أول ظهور تلفزيوني فرنسي له وأمام حشد من الجماهير التي كانت حاضرة في الأستوديو ، كما الحاضرة من على الشاشات في بيوتها. لم يمض ظهوره طبيعيا ، وربما لم تنس الروائية كاترين بايزن الحادثة لغاية اليوم. هل لأنها لم تستسغ ذلك ؟

حين جلس بوكوفسكي أمام بيفو كان في يده ليتر من النبيذ الأبيض. شربه بجرعة واحدة. كأنه كان واحدا من أولئك المشردين الذين تضج بهم العاصمة الفرنسية. وحين أنهاه أخرج من حقيبته ليترا آخر ، فبدأت بايزن بالتململ فما كان من بوكوفسكي إلا أن تحرش بها ، محاولا تقبيلها ، مادا يده بين سيقانها. فتدخل بيفو على الفور طالبا منه الرحيل. فنظر إليه وتبول على "البلاتوه". ربما كانت ليلة لم ينسها الفرنسيون ، ومذ ذاك الوقت ، لم يعد «أبوستروف» يقدم مباشرة على الهواء ، بل عمد المشرفون عليه لتسجيل الحلقات تجنبا لأي مفاجأة.

نظام صارم

ولد بوكوفسكي العام 1920 في "أندرناخ" في ألمانيا ، وجاء مع ذويه إلى الولايات المتحدة الأميركية "بحثا عن الثروة". وهو في الثانية من عمره. ولم ينج الكاتب من تأثير النظام العائلي الصارم ، إذ سرعان ما رفضه ، مغادرا المنزل ، رافضا وكارها كل سلطة أبوية. حتى في اليوم الذي أصابه نزف حاد (في الخمسينيات) جاء أبوه ليتبرع له بالدم ، وحين أفاق الشاعر من غيبوبته ، قام وضرب والده. حادثة اهتزت لها أميركا ، اهتزت من "هذا الضمير الأخلاقي الغائب". وإبان هذا ، وجد بوكوفسكي _وسريعا جدا_ في الكحول والجنس مذاقا مختلفا ، مذاقا خفف من غضب هذا الثائر الصغير. ربما وجد اكتفاء مثل اكتفاء "رامبو" (الشاعر بالتأكيد) خلال هروبه وخلال مغامرات روحه الفتية المدهشة.

بوكوفسكي هاوي "الرجال الذئاب" والفتيات السمينات ، ويضيف بنفسه إلى هذا "الديكور القذر" ، جمله الغنائية ، الوجدانية ، الشبيهة بالمذنبات السماوية. فنجمه كشاعر لا يبرق إلا في الأماكن الصغيرة التي لم يتوقف عن معاشرة "حثالاته" بهامشية عظيمة.

أدب بوكوفسكي أدب معجون بكتابات همنغواي وجون فانت. نشر وهو في الرابعة والعشرين روايته الأولى "ساعي البريد" (وهي إحدى المهن الكثيرة التي مارسها). وشيئا فشيئا بدأت شهرته ككاتب _وعلى الرغم من وجود هذه الأنتلجنسيا المدهوشة بتربيته السيئة_ "تنطفئ" خارج لوس أنجلس ، وفي خارج الحدود. ربما ساهمت هذه الأنتلجنسيا في ذلك ، إذا كان من الصعب جدا قبوله بين قمم «أمجادها». ومع ذلك هناك أسطورة حاضرة تدعى أسطورة بوكوفسكي ، ساهمت فيها السينما بشكل فعال وخاصة فيلم ماركو فيريري "حكايات الجنون العادي" (المأخوذ عن رواية له بالعنوان عينه ، ومن تمثيل بن غازارا وأورنيلا موتي) وفيلم باربيت شرودر "بار فلاي" (مع ميكي رورك وفاي داناواي).. فبكونه أحد نجوم هوليوود لم يكن "هانك" يستطيع الهرب من مصيره الوحيد إلا من خلال زجاجة البيرة ، بالدرجة الأولى ، التي كانت تضعه داخل "قيمته الحقيقية".

في فيلم فيريري تفتتح المشاهد على صوت شخص يلقي قصائده في حديقة عامة. هكذا كان بوكوفسكي ، يجتمع مع الهامشيين والمشردين ، يلقي عليهم قصائده ، بانتظار التبرعات المالية. ينام مع



Avec Linda Lee, qu'il a épousée en 1985.



مع صديقة وحيدة هي زجاجة الكحول. ربما كان يرغب ، في تصرفاته هذه ، في أن يغتصب العالم. ألم يقل ذلك في أحد مشاهد الفيلم/ الرواية. كان "البطل" يمارس الجنس مع فتاة هوى ، فطلب منها أن تستدير إلى النافذة المفتوحة. وصار ينظر إلى الخارج. وحين سألته عن غايته في ذلك أجاب "أرغب في أن أنكح العالم الخارجي".

ربما أيضا هي هذه الرغبة التي جعلته يكتب ، إذ قد نستطيع مع بعض التأويل القول إن الكتابة نبعت من عدم قدرته على تحقيق رغبته الأساسية في العودة إلى رحم أمه. ألم يقل في فيلم (الرواية) فيريري أيضا وهو يضع رأسه بين ساقي امرأة عجوز سمينة وهو يشد باتجاه الأعلى ، "إنني ابحث عن رحم أمي". بحث عن هذا الرحم ولم يجده في رحم الحياة ، ربما وجده في رحم الكتابة.

الافتراق

قلت إن النقاد كانوا يضعون بوكوفسكي في خانة "جيل البيت" ، وهذا ما يشير إليه أيضا أبو هواش في مقدمته للمختارات ، إذ يجد أن



هذا "التصنيف يغفل كونه لم يكن في واقع الأمر جزءا من هذه الحركة ولا قريبا من روادها...". إشارة جوهرية هي تلك التي يذهب إليها المترجم ، من هنا قد يكون من المفيد ، لمعرفة هذه العلاقة ، العودة إلى كتاب الصحافي الفرنسي جان فرانسوا دوفال "باك والبيت" متبوعا بـ "ذات مساء عند باك" الصادر عن منشورات "ميشالون" ، والذي هو في الأساس حوار طويل أجراه الصحافي الفرنسي مع الكاتب الأميركي في ملجئه في كاليفورنيا.

في هذا الكتاب لخص بوكوفسكي خلاصة تجربته في الكتابة ، إذ يخبرنا: "لا أكتب بسبب البغض (...) من الصعب جدا أن أجد اسما لما يدفعني للكتابة...

ربما كان ذلك بسبب أمرين: القرف والفرح. صحيح أنني لا أشعر بهما في الوقت عينه ، بيد أنهما يشكلان حقل تماريني..".

يسبق هذا الحوار ، بحث طويل نسبيا ، يحاول فيه دوفال أن يجد علاقات وروابط ، كانت تجمع ما بين بوكوفسكي وأعضاء "جيل البيت" ، وهي علاقات غيرة وكبت. فبالنسبة إلى باك الذي بدأ فـــي معرفة النجاح والشهرة مع فترة السبعينيات ، بينما بدأ الكتابة منذ العام 1953 كان يجد أن الفترة التي استغرقها ليعرف النجاح كانت طويلة. فكي "يعيش" عمل في العديد من المهن الصغيرة ، التي ارتهن لها ، كما جعلته "مسطولاً": عمل في محطات وقود ، في مسلخ بهائم ، في معامل ، وساعي بريد. وكي لا ينتحر ، شرب وقرأ. أعجب بسيلين وفانت ودوستويفسكي وهمنغواي وباوند. وما بين سكرتين قويتين ، لم يرَ وصول "حركة البيت" إلى مجدها ، وعلى رأسها "الثالوث المقدس": وليم بوروز ، جاك كرواك وألن غينسبرغ ؛ كذلك لم يرَ جميع دعاتها: كورسو ، سيندر ، كاسادي ، ماك كلور ، ويلين ، هنك ، أورلوفسكي ولامانتيا... وهو ، في اليوم الذي نشر فيه كتابه الأول ، أي في العام 1959 وكان ديوان شعر يتضمن "قصائده المهلوسة" ، كان بوروز قد نشر "جنكي" و"الوليمة العارية" وغينسبرغ "عواء" و"قاديش" وكرواك "البلدة والمدينة" و"على الطريق" (ترجم أبو هواش هذه الرواية وصدرت أيضا عن منشورات الجمل). أي وجد نفسه في محيط يدفع المرء ، حقاً ، إلى الشعور بالانهيار الكامل ، وأنه لم

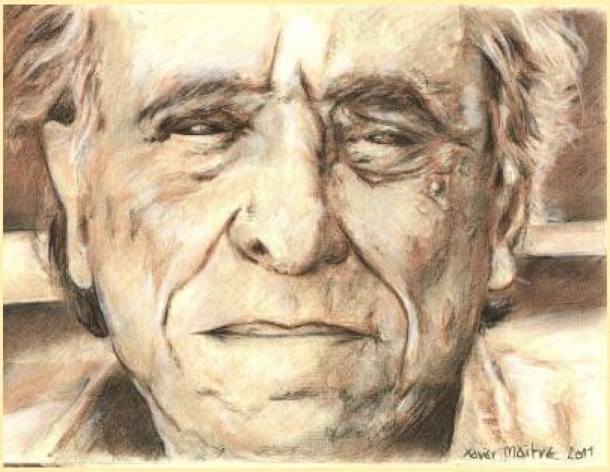


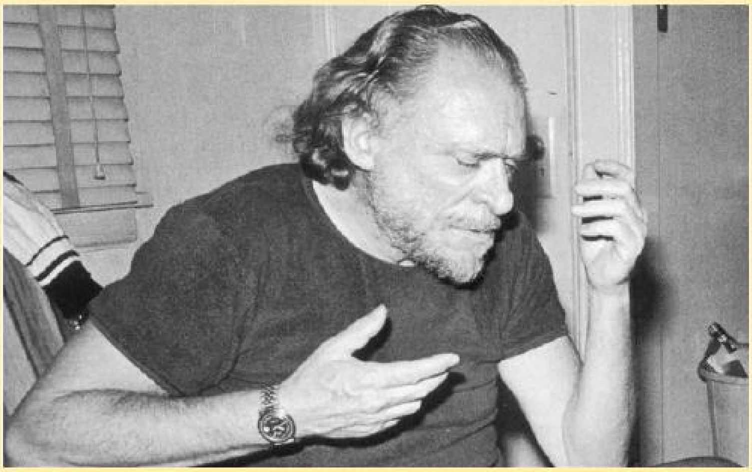
مشهد من فيلم بار فلاي

ينجز شيئًا إزاء هؤلاء.

بيد أن بوكوفسكي عبر مراسلاته ، كما عبر كتابيه "نساء" و"يوميات مقرف عجوز" ، وهما ليسا سوى مختارات من تعليقاته الأسبوعية التي كان ينشرها في مجلة "أوبن سيتي" (وهي من مجلات "الأندر غراوند") يترك الكلام "للبارود". فبالنسبة إليه ، فإن المرعب بوروز ليس سوى "لوطي مخنث (...) وكاتب يدفع للنوم بشكل خاص". ويضيف باك "لولا دعم علاقاته في العالم ، ولولا دعم أدب "البوب" له ، لما كان يساوي أكثر من مسمار..".

أما غينسبرغ ، فيجد باك ، أنه "يكتب من سيّئ إلى أسوأ في الفترة الأخيرة. ما يكتبه ليس سوى غبار..وقيء". فما أن يسمع بوكوفسكي كلمة ثورة ، حتى يخرج قلمه المسوس ليبوخ هذه الحشود "المستمرة في جرجرة أقدامها ، في الحدائق ، مع صورة تشي وبورتريه كاسترو من أجل طرد الفأل السيّئ ، وهم يهتفون حين يأمرهم بوروز وجان جينيه وألن غينسبرغ. لقد انتهى أمر هؤلاء الكتّاب ، لقد غرقوا في التخنث والتكرار والتفاهة. إنهم حمقى".





بلغ غضب بوكوفسكي أوجه ، خلال تظاهرة ضخمة أقيمت على هامش تجمع الحزب الديموقراطي في آب (غشت) 1968: "لقد انتهى الأمر بأن أصبح المناصرون عاهرات. انظروا إلى مايلر وجينيه وبوروز وغينسبرغ (..) وكل أولئك الذين يستعرضون في تظاهرة الهيبي الكبيرة في شيكاغو. أهم فعلا عمالقة بشرية ؟ براز! ليسوا سوى عمالقة الدعاية". إزاء ذلك ، سرعان ما أعلن اختلافه عنهم بصوت مرتفع: "ما من أمر يناسب الكاتب سوى وحدته أمام الآلة الكاتبة (..) فالنزول إلى الشارع ، لنملك كلمة لا ، معناه أننا اخترنا الطريقة الأسهل".

بيد أن باك ، بين ثورتي غضب ، يعود ليجد هدوءه ووعيه ونفاذ بصيرته. يقول: "إن غينسبرغ من أكثر وأكبر المجددين في الشعر الأميركي منذ أيام والت ويتمان". في واقع الأمر ، إن مشكلة بوكوفسكي الحقيقية ، تكمن في أنه لم ينجح في إيجاد مكانته في تلك الحقبة. فهو لم يستطع أن ينكر أن تلك الحركة كانت السبب في نشوء "الثقافة المضادة" ، وإن لم ينتسب إليها. ولأنه بدون شك كان يرغب في "ألا يفقد هويته الخاصة". فبعيدا عن الثورة ذاتها ضد جميع أشكال السلطة ، نجد أنه ليس لبوكوفسكي و"جيل البيت" أي نقاط مشتركة. صحيح أن الجميع من الشعراء ، لكن باك كان يتحدث عن البؤس الذي تجاهلوه كليا.. لقد كان "سجين" المعامل ، يعمل مثل محكوم عليه. بينما هم يعيشون "على الطريق ، في رحلات أشبه برحلات إيزي رايدر". كان بوكوفسكي يعشق النساء ، جميع نساء الأرض ، بينما هم أعضاء جيل البيت (في غالبيتهم) ، من المثليين جنسيا. قد يبدو ذلك أمرا لا يصدق ، لكنه أمر حقيقي: فبجانب هذا الفريق ، يبدو باك كأنه أحد أطفال الكورس! بالتأكيد ، إنه شخص هامشي ، وذو فم كبير ، لكنه كان "وحش عاطفة وحنان" ، بينما "جيل البيت" ليسوا سوى قساة ، من الصعب الولوج إلى دواخلهم. بطلهم المطلق ، الأسطورة التي يبجلونها كلهم. فـ "نيل كاسادي" ، كان سارق سيارات ، على "عداده" نجد أكثر من 500 سيارة قبل أن يبلغ العشرين من عمره. بوروز؟ قتل زوجته ، في المكسيك برصاصة في الرأس. لوسيان دار؟ أمضى سنتين في السجن بسبب قتله أستاذا (سابقا) ، لصوقا ، لم يرغب في مغادرته. وشريكه في الجريمة! كان كرواك ، الذي نجا بأعجوبة.

لم يكن بوكوفسكي ينتمي إلى هذا العالم. لكن بما أنه كان يسير باتجاه سير التاريخ ، قبل مرة أن يضع "المياه في نبيذه" ، أي أن يساوم ، أن ينحرف ، في العام 1967. فبفضل شاعر "البيت" هارولد فوروزي ، صديق بوروز وغينسبرغ ، نشرت قصائده في دار بنغوين ، ثم لاحظه لورنس فيرلنغيتي ، شيخ "السيتي لايتس" ، تلك المكتبة المنارة ، ودار النشر الواقعة في سان فرانسيسكو ، التي نشرت أعمال "جيل البيت". وشيئا فشيئا ، بدأ بوكوفسكي يحفر مكانه. مع نهاية الستينيات ، نجح باك في القيام بـ "ضربته الكبيرة" ، أي بلقائه بكل من كرواك وكاسادي ، قبل موتهما.

كان يرغب، في تصرفاته هذه، في أن يغتصب العالم. ألم يقل ذلك في أحد مشاهد الفيلم/ الرواية. كان "البطل" يمارس الجنس مع فتاة هوى، فطلب منها أن تستدير إلى النافذة المفتوحة. وصار ينظر إلى الخارج. وحين سألته عن غايته في ذلك أجاب "أرغب في أن أنكح العالم الخارجي".

مع الأول ، ثمة نقاط عديدة مشتركة: الشراب الكحولي ، الإعجاب بسيلين (الكاتب الفرنسي) ، أحلام حلبة الملاكمة والضربات القاضية العظيمة ، والاحتقار الكبير لبقية أفراد البيت والهيبيز والبيتنيك والماويين. فجملة كرواك "إنني فنان وكاتب (..) ولست الناطق الرسمي باسم مليون أزعر" ، لا يمكن لها إلا أن تسعد باك.

التقى بوكوفسكي بـ "نيل كاسادي" ، الذي كان شخصية دين موريارتي في كتاب "على الطريق" الإله الحي لذلك الجيل ، في بداية العام 1968 في فريسكو. في إحدى مقالاته في "الأوبن سيتي" يروي بوكوفسكي ، بالتفصيل ، النهار الذي قضاه معه. تشكل مقالته هذه ، أحد النصوص الأنطولوجية ، التي من الممكن أن تدخل التاريخ

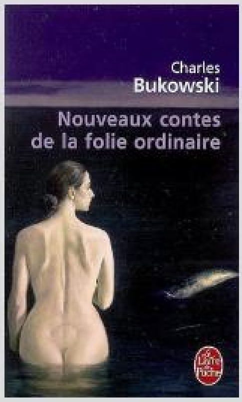
الأدبي ، إذ نجد أن الإيقاع موجود منذ الكلمات الأولى: "التقيت صديق كرواك ، نيل ك ، قبل وقت قصير من ذهابه ، ليتمدد بالعرض فوق خط سكة الحديد ، في المكسيك ، كي يموت هناك". أما الباقي ، فيأتي على مثال ذلك. إننا أمام نص بارع الأسلوب. فقد وجد "باك" في "نيل" أستاذه في الكحول ، لذلك لم يستطع أن يطلق النار عليه. نص جميل ، ينهيه بالقول: "كتب كرواك كل فصول حياتها ، أما أنا ، فأعتقد فعلا ، أنني كتبت لتوي الفصل الأخير".

وبعد عدة أيام ، يسقط نيل تحت وطأة جرعة زائدة. لقد تملّك بوكوفسكي جزءا من الأسطورة. في العام 1969 كتب كرواك "من بعدي الطوفان" وغاب بدوره ، فأصبح الطريق سالكا أمامه. في السبعينيات ، أي في السنة التي بلغ فيها بوكوفسكي الخمسين من عمره ، نشر روايته الأولى "ساعي البريد" ومن ثم جاءت "يوميات مقرف عجوز" و"حكايات الجنون العادي".

في أي حال ، لا يقدم لنا سامر أبو هواش إلا الجانب الشعري من شخصية بوكوفسكي ، ومعه نكتشف _عبر هذه المختارات التي تمتد على أكثر من كتاب ومجموعة_ هذا الصوت الحارق الذي وجد في الهامشيين والمبعدين مناخا لكتابة أميركا الخاصة به ، هذه الأميركا الغارقة في بحر ظلماتها القاسية.

عن "السفير" اللبنانية (السفير الثقافي)، 25 أبريل 2009، العدد 11278
ننشر هذه المقال بإذن من الكاتب والشاعر إسكندر حبش

(*) كاتب وشاعر لبناني



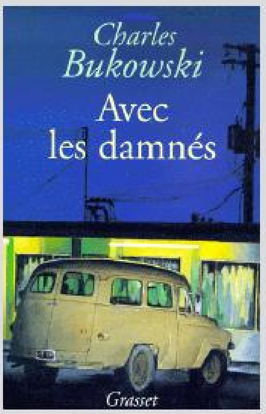
من أعمال بوكوفسكي الشعرية والنثرية

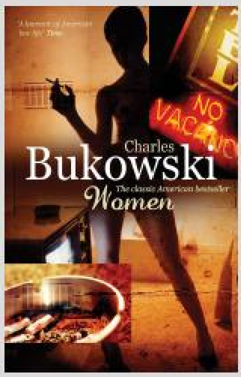
نشر بوكوفسكي أول مجموعة شعرية عام 1959 ، ثم أتبعها بعشرات المجاميع منها:

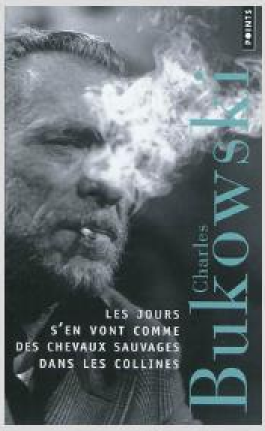
© الاحتراق في الماء ، الغرق في اللهيب: قصائد مختارة (1955-1973) ، نشرت عام 1974
© الحب كلب من الجحيم: قصائد (1974-1977) ، ترجمها للعربية سامر أبو هواش
© سيقان ، أرداف ، وما خلفها ، نشرت عام 1978
© شرارات ، نشرت عام 1983
© حرب طوال الوقت: قصائد 1981 - 1984 ، نشرت عام 1984
© الليلة الأخيرة للأرض ، نشرت عام 1992

ومن أعماله في القصة القصيرة والرواية:

© اعترافات رجل مجنون بما فيه الكفاية للعيش مع الوحوش ، 1965
© يوميات مقرف عجوز ، 1969
© حكايات جديدة للجنون العادي ، (قصص) ، 1972
© جنوب بلا شمال ، 1973
© موسيقى الماء الحارة ، 1983
© حكايات الجنون العادي ، (قصص) ، 1983
© المرأة الأكثر جمالاً في البلدة ، 1983
© أجزاء من دفتر ملاحظات ملوث بالنبيذ: قصص قصيرة ومقالات ، 2008
© غياب البطل ، 2010
© أحبك ، ألبير ، (قصص) ، 1983
© بوكوبيسكي / رسائل بوردي ، 1983
© صبحات من الشرفة: رسائل مختارة (1) ، 1993
© عيش على الحظ: رسائل مختارة ، (2) ، 1995
© الكابتن خرج ليتغذى والبحارة سيطروا على السفينة ، 1998
© امتد إلى الشمس: رسائل مختارة ، (3) ، 1999
© بصق البيرة ليلا واللعن: التواصل بين تشارلز بوكوفسكي وشيري مارتنيلي ، 2001













الفوتوغرافي الأمريكي الغائب بيرت ستيرن

عندما لا يبقى من المصور سوى العين التي رأت الجمال



كرم نعمة (*)

مرّ رحيل الفوتوغرافي الأميركي بيرت ستيرن مؤخرا على وسائل الإعلام ، بزاوية استذكار الممثلة مارلين مونرو وحدها ، فيما أدرج منجزه الآخر على الهامش! وعلى الرغم من أن اللقطات التي صورتها عدسته لمونرو قبل أيام من موتها ، لا يمكن ، وفق أي حال من الأحوال ، تجاهلها ، لكن عدسة هذا الفنان الذي رحل في السادس والعشرين من يونيو/ حزيران الماضي عن الـ 82 عاما ، أرخت لزمن باهر بالأسود والأبيض كانت مونرو تشكل إحدى مشاهده وليس المشهد برمته.

الجمهور العربي تعرف على لمسات ستيرن الفوتوغرافية بداية عام 2013 ، عندما أقيم في دبي معرض لصوره التي التقطها لمارلين مونرو تحديدا.

تحركت عدسة هذا الفنان في شهر يونيو/ حزيران من العام 1962 من دون أن تدرك أنها ستكون آخر الصناديق التي تقف أمام المرأة المذهلة ، فبعدها بستة أسابيع اختارت مونرو أو «قطعة الحلوى» خيار الموت لحياتها!

الجلسة الأخيرة

ما الذي كان يفكر به ستيرن وهو مشغول بزوايا عدسته ، فيما تقف أمامه النجمة عارية تماما وكأنها تسفح الحليب على جسدها ؟

لقد التقط 2600 صورة للنجمة الأميركية خلال ثلاث جلسات تصوير في فندق «بيل آر» في لوس أنجلوس ، الأمر الذي دفع مجلة «فوغ» إلى تسميتها «الجلسة الأخيرة» في إشارة إلى موت مونرو بعدها.



جُمعت الصور ونشرت في كتاب بعنوان «الجلسة الأخيرة» عام 1982 ، ثم أعيد طبعه عام 2000. وتم بيع مجموعة من تلك الصور بمبلغ 150 ألف دولار في مزاد عام 2008. تنبض صور ستيرن بحيوية مشرقة وجاذبية نادرة ، «كيف تسنى لمونرو أن تجمع كل هذه الحيوية ، فيما كان الموت على بعد أيام منها ؟» كانت المرة الأولى التي تسمح فيها النجمة لمصوّر بأن يلتقط لها مثل هذا العدد من الصور الحميمة ، فكشفت العدسة في الصور الفنية العارية عن الوجه الحقيقـــي





للمرأة الضعيفة والوحيدة التي كانت ستموت بشكل مأساوي بعد أسابيع.

حرير شنغهاي

يتذكر ستيرن تلك الأيام ويقول: «كانت مارلين مونرو في قمة الجمال والجاذبية والمرح ، مجسدة بذلك المرأة الأميركية المثالية بامتياز.. لقد أحببتها كثيرا».

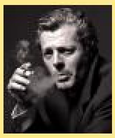
وتحولت مارلين مونرو إلى قطة متقلبة أمام العدسة فتنغمس تماما في الدور الذي كانت تؤديه ، من نجمة الأفلام الكلاسيكية التي يلفها معطف فخم من الفرو ، مرورا بالعذراء الطاهرة التي تعتمر وشاحا ناصعا ، فيما أصابع ستيرن تداعب حواف الصندوق الأسود بثبات ، وشعور ينمو بداخله وكأنه يداعب قطعة من حرير شنغهاي!

ولأن مارلين مونرو امرأة من طراز مغمور بالعسل ، كانت صورها الأكثر ارتباطا بأرشيف بيرت ستيرن لأنها تتجاوز الصورة بمواصفاتها التقليدية ، وأصبحت عملا فنيا ، مع أنه صوّر غريتا غاربو وغاري كوبر وألن ديلون وأودري هيبورن وصوفيا لورين وإليزابيث تايلور حتى مادونا وكيت موس وليندسي لوهان ، حيث حاول تكرار نفس تجربة صور مارلين مونرو معها.

كانت المرأة أمام كاميرا هذا الفنان تشعره بالقوة ، ويتحوّل الإبهار لديه إلى طاقة فنية ، ربما تجربة التقاط مئات الصور لمونرو كانت أشبه بخط اختبار فني ، جعله ينجح في التعامل بحساسية دقيقة بين الظل والضوء عندما يسلطه على جسد المرأة.

يكفي تأمل الصورة التي التقطها للممثلة درو باريمور مثلا ، تبدو بكل هذا البهاء المغري ، من دون أن تغادر الذاكرة صورتها كطفلة في فيلم «أي تي» مثلا. وفي عودة لزمن الأبيض والأسود تكشف عدسة ستيرن دلالة إيحائية في وجه ألن ديلون ، في زمن كانت العيون ، كل العيون ، تترقب طلته ، كذلك مع صوفيا لورين في زاوية تغادر البحث عن مجرد جمالها.

(*) كاتب وناقد عراقي

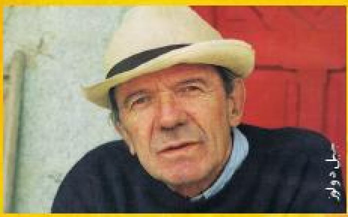


ولد بيرت ستيرن في 3 أكتوبر 1939 في بروكلين بنيويورك لأسرة يهودية مهاجرة متوسطة. ولع بتصوير النساء منذ طفولته عندما كان يصور أمه وشقيقته، وعندما عمل في الجيش الأميركي خلال الحرب الكورية واصل مهمته كمصور، ليضيف إلى تجربته جانبا حيويا آخر. في العشرين من عمره حمل عدسته وذهب إلى مصر ليلتقط صورة أمام الأهرام، وصفت حينها بأنها الأحرأ فنياً على بساطتها وفكرتها المرحة! تزوج عام 1959 من راقصة الباليه اليجرا كيت وانتقل معها إلى أسبانيا، واهتم بتصوير عارضات الأزياء، لكن وقع طلاقهما فيما بعد. تزوج بعدها من المخرجة شانا لومستير التي أنتجت فيلما وثائقيا عن تجربته عام 2009، وعاشت معه ومع أبنائه من زوجته السابقة، حتى وفاته نهاية الشهر الماضي.













من ملفات وضيوف أعدادنا القادمة

- Ω جيل دولوز في ضيافة ديونيزوس
- Ω الشاعر محمد بنطلحة
- Ω في مديح الخمر والحب





رمزية الكحول عند ديراس

"ما إن ابتدأت في الشرب حتى صرت مدمنة" (م. ديراس)

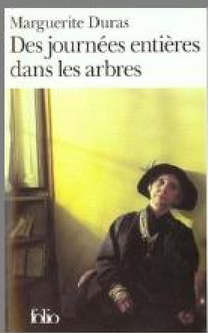
أدخلت مارغريت ديراس الكحول ، الذي هو جزء من حياتها ، بشكل طبيعي ، في الأدب. ويسكي ، كمباري مر ، شمبانيا ، نبيذ أحمر ، مانزانيلا ، بلسن أسود ، بوربون مضاعف: يمكننا في كل كتاب تقريبا معاينة كحول خاص: بشكل ملحوظ ، وفي معظم الحالات ، المرأة هي التي تشرب. الأم ومارسيل في "نهارات كاملة بين الأشجار" ، آن ديساريس في "موديراتو كانتابيلي" ، ماريا في "العاشرة والنصف مساء في الصيف" ، سوزانا آنديي في مسرحية تحمل هذا الاسم ، وإيملي إل في رواية تحمل اسم هذه الشخصية نفسها.

وهذا يعني أن كل "موتيف" من الكحول ليس غريبا على الذوق الطفولي لمارغريت ديراس. فالنسبة إليها المرأة التي تشرب هي أكثر حرارة من الكبريت: "الإدمان يتخطى عتبة الفضيحة مع امرأة تشرب: نادرة هي المرأة التي تشرب ، وإن حدث أن وجدت فهي خطيرة".

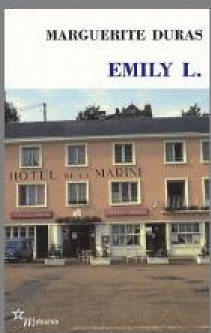
الكحول هو واحد من الظواهر ، تماما مثل الماء والحرارة والجدام ، التي تتفكك في الكون الديراسي. إنه يمثل (أي الكحول) هذه الحالة المشهورة في كل أعمالها: فقدان الوعي _المرغوب فيه إلى أقصى حد_ لهويتها الشخصية. التجريد الكلي لذات شخصيات مارغريت ديراس الرئيسية ، والتي تحاول هي نفسها الوصول إليه.

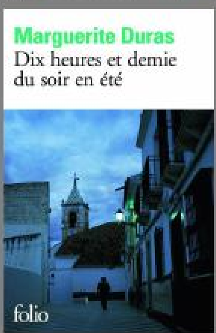
ي. أ : ما هو تعريفك لذاتك؟
م. د : أنا لست كذلك...

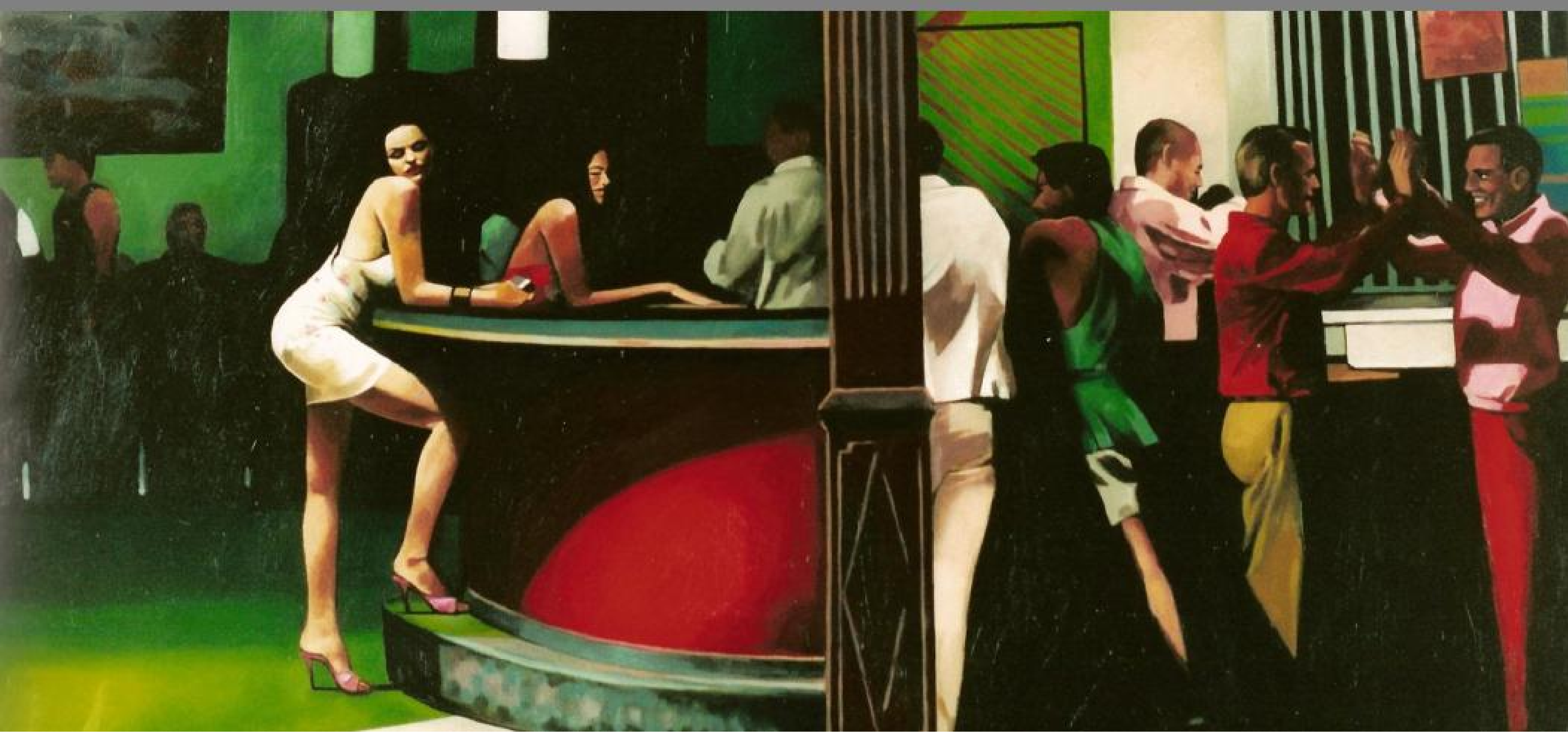
رودولف كوبيرفسكي












charles bukowski